أصوات بلا صدى...
(مقالات من تجربة الحياة)

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية (2015/6/2603)

السايرٍ، محمد عويد

أصوات بلا صدى/ مقالات من تجربة الحياة/ محمد عويد السايرة: -
عمان:- دار غيداء للنشر والتوزيع، ٢٠١٥
( ) ص
ر.أ: (2015/6/2603).
الواصفات:/ المقالات الأدبية// العصر الحديث

❖ تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

Copyright ®
All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

ISBN 978-9957-96-116-9

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو تخزين مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي وجه أو بأي طريقة إلكترونية كانت أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل و خلاف ذلك إلا بموافقة على هذا كتابة مقدماً.

دار غيداء للنشر والتوزيع

تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله مجمع العساف التجاري - الطابق الأول
تلفاكس : 5353402 6 962+ خلوي : 95667143 7 962+
ص.ب : 520946 عمّان 11152 الأردن E-mail: darghidaa@gmail.com

أصوات بلا صدى...
(مقالات من تجربة الحياة)

د. محمد عويد محمد الساير
كلية التربية الأساسية في حديثة / جامعة الانبار

الطبعة الأولى
2016 م – 1437 هـ

الإهداء.....
إلى كلّ صاحب قلم....
وصاحب موقف....
وصاحب نص.
أن يكون قلمك,
وموقفك,
ونصك... في سبيل الحق,
ولا شيء سواه.

الفهرس

المقدمة 9
التناصُ في رسوم الأطفال 11
التحقيقُ ونقدُ التحقيق في أدبيات الدكتور يوسف حسين بكار 13
نشيدُ الصحراء... نشيدُ الزمانِ والمكانِ والإنسانِ..... 16
دارُ غيداء في عمَّان ... تبرّز الجهدَ العراقيَ الأصيلَ 21
الصداقةُ في الشعر الأندلسي..من تجربة أبن ليون السحرية 23
طلال سالم ألحديثي... كلماتٌ في سيرتهِ وآثارهِ 27
طلال سالم ألحديثي... صديقُ التراثِ والشعرِ والمكانِ..... 31
مواعظُ أبن السماك... دراسةٌ في فن الموعظة الشخصية..... 35
نهايةُ الشعر..... 39
نادر هدى قواسمة, إضاءات في حياته وشعره 43
حسن يحيى الخفاجي... حياته, شعره, آثاره..... 49
المكانُ في شعر عدي أحمد ألحديثي 55
من سماتِ الكتابِ المنهجي الناجح 65
دارُ ثقافةِ الأطفالِ في العراقِ... وأثرُها التربوي والتعليمي 67
ناظم رشيد..... 69
مجاهدمصطفى بهجة.. سطورٌ في حياتهِ و آثارهِ..... 75
عولمةُ المكان الثقافي 79
منهجُ الدكتورة حياة قارة في تحقيقِ نصوصِ الشعرِ الأندلسي 83
التراثُ الأدبي في المسلسلاتِ المصريةِ.. الأمثال الشعبية أنموذجاً..... 87
الإنشادُ الشعري المحكم... خلف دلف الحديثي..... 95
قراءةٌ نقديةٌ تحقيقيةٌ في تحقيقِ الجزءِالأولِ لكتاب الوافي للرندي 97
سوقا لقراية...ومذكراتُ طالب جامعي 105
زُهير أحمد القيسي... تاريخُا لشخصيةِ, وشخصيةُ التاريخِ 109
الرفض في شعر الأعمى التطيلي الأندلسي 113
منهج الدكتور عبد الرازق حويزي في الاستدراك على الدواوين الشعرية الأندلسية .. 119

مقدمة

بسم الله تعالى العظيم الرحيم, وعليه أتوكل, وبه أستعين, فهو نعم المولى ونعم النصير,

وبعد....,

يصدر هذا الكتاب من سلسلة مقالاتي التي كتبتها ونشرتها في الصحف العراقية المختلفة, وكاتبه مثقلٌ بالهموم, والحسرات على البلاد العربية التي حلّ فيها الخراب والدمار من كل مكان, ومن كل إنسان في العالم, ويا حسرتاه, وا أسفاه على ما جرى في البلاد والعباد, ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم, ومنه العافية والآمان والسلامة في الدين والعقل والفكر.

وأما عن منهج الكتاب ودواعي تأليفه, فكان كسابقيه. أي؛ ككتابي (مقالات في النقد المعاصر), وكتابي (مقالات في الأدب، الفكر والشعر والسير), من جهة المضمون والترتيب والتبويب. فالكتاب يحمل جُملة من المقالات الأدبية والنقدية والاجتماعية وسيرة العلماء والشعراء الذين كتبت عنهم وفيهم وفي أدبهم ونتاجهم هذه المقالات بعناوينها المختلفة, وأساليبها المتنوعة, وأفكارها التي يفرض المقال موضوعها وعنوانها.

ومن هنا جاءت هذه المقالات كما ترى أيها القارئ الحبيب, والتي أتمنى أن تنال إعجابك, وأن تكون محل نظر واهتمام قريبين من النقد البنّاء المفهوم الواضح, الخدوم للكاتب وكتابه وما فيه.

وأنا لا أنكر حبي لفن المقالة واهتمامي به على سنين طويلة من سنوات العمر الذي ما مضى منه أكثر مما بقى, كما يقول أهل العراق, والله أعلم. فالمقالة فكرة وموضوع وأسلوب وعنوان. والمقالة إيجاز في الكلام, ورشاقة في التعبير, وانفتاح على الشواهد والحكم والآثار من الدين والشعر وأقوال الصالحين والبلغاء والفصحاء. والمقالة اختصار لصفحات كتاب, ومطالعة لكتب أخرى. والمقالة تترابط مع فن السيرة, وفصول المسرحية, ومشاهد السينما, وتبحث مع جزئيات النص الشعري والقصصي والتراثي.

والمقالات في كتابي هذا متنوعة للشخوص, وللتراث, والشعر, والتحقيق ونقده وما في كل هذه الفنون والعلوم من إبداع وتطور وتجديد.كما أنها مواكبة لما وقع من

أحداث هنا وهناك في العراق والعالم العربي, وأثَّرت على هذا الفن أو ذاك, هذه الشخصية أو غيرها..... فكانت بحقٍّ أصواتاً من تجربة الحياة!

علماً أني تركت الكتابة في مقالات كانت مقترحة لئن تكون من بين هذي المقالات الاجتماعية والذاتية والأدبية التي جاءت في هذا الكتاب, وكان هذا الترك, وهذا التجافي لأسباب علمية وفكرية ومنهجية تخصُّ المقال نفسه.

فمن هذه المقالات المتروكة, " دراما رمضان... الدوافع والأهداف ", إذ رأيت ترك هذا المقال في الوقت الحاضر لنمو الدراما العربية نمواً كبيراً في هذا الشعر, ولاتساع هذا النمو في التاريخ, والشخصيات, وشؤون المجتمع. فآثرت تأجيل الكتابة في هذا العنوان إلى وقت آخر يكون أكثر ملائمة وفائدة. ومن المقالات الأخرى التي كنت أفكر في الكتابة فيها " شعر العرب المجانين... دراسة في شعر التجربة الذاتية ", و" هادي نهر... اللغوي الأديب الناقد ". فتجافيت عن المقال الأول لأني رأيت أن أكثر الشعر الذي قاله كثيرٌ من المجانين العرب هو من الشعر المنسوب إلى هؤلاء الشعراء, وهو متدافع النسبة بينهم وبين الشعراء العرب الآخرين, فيلزمه التنقيح والتهذيب والتمحيص... وهو مما يطلب وقتاً كثيراً, وجهداً كبيراً, ولعلَّ قابل الأيام تسعفنا بمظان جديدة تروي شعر هؤلاء المجانين, فنفكر بالكتابة عن شعرهم نقدياً وفنياً وأسلوبياً, أو نجمع هذا الشعر ونحققه, ومن المؤكد أن مثل هذه الجهود في الدراسة والتحقيق ستكون أوسع من المقال, وأكثر أهمية وانتشاراً. وتجافينا عن مقال الدكتور هادي نهر, لأنه مازال على قيد الحياة, وكثير النتاج والإنجاز, فلا نريد أن نبخس حقه في الكتابة والتعليق عن مؤلف جديد, أو عن تحقيق آخر يضاف إلى جهوده العلمية الكبيرة, أمد الله في عمره, ومتعنا بآثاره.

ومن المقالات الأخرى التي تركتُ الكتابة فيها الآن " التشبيه الضمني في شعر الأمام الشافعي " إذ رأيت أن نصوص هذا التشبيه وشواهده كثيرة في شعر الأمام وهو لا يصح مع مقال, وإنما قد يكون بحثاً كبيراً أنجزه في قابل الأيام, إن أمدّ الله في أعمارنا.

في الختام, أتمنى أن هذه المقالات تأخذ مداها وأهميتها في الساحة الأدبية وميادينها الواسعة, وأن تكون قد أوفت الفكرة, وغطّت الموضوع, ووافقت العنوان.

محمد عويد محمد الساير

التناص في رسوم الأطفال

ذاع مصطلح التناص وأُشتهر في الدراسات الأدبية والبلاغية والنقدية في أواسط ونهائيات القرن الماضي. ودُرس عند أغلب الشعراء, وفي أبهى العصور ألأدبية وأنضجها فكراً وفناً وحضارة.

والحقيقة كانت لي بعض الملاحظ المنهجية والعلمية على هذا المصطلح ودارسيه. إذ أن بعض النصوص التي حلَّت ضيفة عزيزة على تلك الدراسات لم تكن من قبيل التناص لا من قريب أو بمن بعيد, وإنما كانت استدعاءً لبعض مُفردات اللغة التي استخدمت عند الشاعر الأول, ومن سبيل الاقتباس من الآية القرآنية الكريمة أو الحديث النبوي الشريف, أو من قبيل التضمين لهذا المثل, أو ذاك الأثر, أو تلكم الحكمة.

فالتناص إنما هو جمع لنصوص سابقة, مهما كانت, ومن أينما كانت, تنصهر في بوتقة النص الجديد, لتكون في نص جديد لأديب آخر, ولشاعر ثانٍ في التركيب والدلالة والإيقاع.

والتناص في الرسوم شأنه في اللغة واللفظ, فاللغة العربية - تسمح أن يكون التناص ضيفاً عليها وبين معانيها -, لفظاً, وصوتاً, وصورة, وفناً, تشكيلاً... وهذا هو سرُّ خلودها, وأساس تميزها, وحلاوتها, وجمالها, وديمومتها إلى قيام الساعة.

وقد جاءت دراسات جامعية كثيرة عن التناص في العصر الحديث, والأدب المعاصر, وحتى في الفن والسينما والمسرح, ووصل أصحاب هذه الدراسات إلى نتائج علمية ومتميزة, جعلتنا نؤمن أن التناص تداخل سريعاً في المشهد أو الفصل أو الصورة ليكوَّن أشياء جديدة, في معانٍ جديدة, ودلالاتٍ جديدة.

وكتب صديقنا الدكتور عمر عتيق - من فلسطين - عن التناص في الرسوم الكاري كتيرية, ووصل بأسلوبه الرشيق, ولغته العلمية العالية إلى خصائص مُرضية إلى حد بعيد عن التناص وآليته وإجراءاته. ولعلَّ هذا البحث هو المدعاة إلى هذا المقال, عنواناً وكتابة وشرحاً...

وأول ما يتبادر إلى الذهن في رسوم الأطفال هو عنوان اللوحة, وغالباً ما يكون هذا العنوان متناصاً مع عناوين أخرى أخذت من الذاكرة الفتية التي تسمع وترى وتقرأ... من مثل لوحة: توم وجيري, والبلبل الفتان, والنخلة والفلاح, والأرض والسماء... وغير ذلك. وهذي العناوين كلّها تعدّ تناصاً بحد ذاتها, ومن ثمَّ تبقى الألوان الداخلية, والمواهب الفنية التي تُنتج عنها كل صورة, وكل رسم.

ولا يقتصر التناص على عناوين اللوحات فقط, وإنما يتجاوز إلى لوحات الكتب الداخلية والأغلفة الخارجية لها, فالطفل كثيراً ما يحاول في رسمه أن يأخذ الفكرة والموضوع من هذه اللوحات وهذه الأغلفة ويضعها في ألوان جديدة, وفي أفكار جديدة... صحيح إنها بسيطة وبدائية التفكير إلا إنها إبداع, وإبداع يستحق الإعجاب.

ومن أنواع التناص التي وردت في رسوم الأطفال, التناص عن المشاهد السينمائية, وعن الصورة الواقعية والحياتية التي يشاهدها الطفل كل يوم, بدءاً من البيت وما فيه حتى من بلاط الأرض وزخارفه وزينته وكل هذه الموضوعات تعدُّ أفكاراً جاهزة للطفل في رسومه, فيحاول محاكاتها ورسمها, معتمداً على الصورة المرئية المشاهدة فقط.

وفي إحصائية عفوية عملتها بالنظر إلى رسوم الأطفال, وجدت أن المناظر الطبيعية وألوانها هي الطاغية على هذه الرسوم, ومن ثمَّ رسوم أفلام الكارتون, ومنا إلى الصور الشخصية, والأخيرة لا تكون إلا مع الأطفال الموهوبين جداً, وأصحاب التألق والإبداع والموهبة المتميزة في الرسم والفن والتشكيل منذ الصغر.

وكذلك وجدت أن الألوان الباردة والشفافة هي التي بدت على هذه الرسوم, وغابت الألوان الغامقة, والعميقة إلا في القليل النادر, وهذا راجعٌ إلى بساطة المشاعر وفطرة الطفل الصغير الذي يحتاج منا اليوم إلى رعاية أكبر, وعناية أكثر, وإلا كانت صور المدارس المهدمة, وبراميل المتفجرات, وأكوام اللحوم البشرية المُحترقة, وألسنة الدخان الأبيض المتصل لوناً وتعبيراً بألوان الثلج والسماء هي الرائجة والكثيرة في مرسم خالد جبر, وهي مهما كانت - كثرة ورواجاً -, لا تحتاج إلى تحليل, أو شرح, أو تأويل... لأنها صدرت عن معاناة حقيقية وصادقة لا يبدو أنها ستنتهي...!!!

التحقيق ونقد التحقيق... في أدبيات الدكتور يوسف حسين بكار

يشكل التراث عالماً مستقلاً بذاته في الصنعة والإخراج والتعلم. ولا يزال هذا العالم يمتدُّ ويتسع حتى شمل الكثير من أعلام العلم في العصر الحالي, والأدباء, والمفكرين وأصاحب دور الوراقة, والنشر في البلدان العربية والإسلامية. وقد ظهرت مئات الأسماء التي خدمت هذا العلم, وسعت لإخراج نفائس التراث العربي الدفينة, الإخراج العلمي الأمثل, إلا إن البعض أساء لهذا العلم في الصنعة والعمل والنشر, فدمَّر وأزعج, وأثار الآخرين, فكتبوا عن سيئات هذا التحقيق, وعن هنَّات هذا المحقق, وعن هفوات تلك النشرة, ومآسي الناشر الجديد, حتى خرج إلينا نقد التحقيق, العلم الذي من شأنه أن يكشف كلَّ السيئات والهنَّات والهفوات, ويخدم المحقق والمصنف والكتاب والناشر.

وكان أستاذنا الكبير الدكتور يوسف حسين بكار, قد اعتنى بالتحقيق منذ وقتٍ مبكرٍ كما أخبرني بنفسه. وأصدر في هذا العلم الجليل النتاجات الطيبة, التي عُدت مرجعاً لأهل العلم والأدب والفكر على اختلاف البقاع والأزمان. ومن هذه النتاجات: شعر ربيعة الرقي, وشعر زياد الأعجم, وشعر إسماعيل بن يسار النسائي, ورباعيات الخيام... وغير ذلك. وفي أغلب هذه النتاجات العلمية المحققة سار الدكتور بكار على أصول المنهج الحقيقي للتحقيق متبعاً آليات التحقيق, وإجراءاته الفنية والعملية الأصيلة التي تبين عن خبرة في الميدان, وتمكن في الصنعة, وأمانة في العلم والبحث.

ولم يقتصر الأمر على تحقيق النصوص الشعرية أو الأدبية في أعمال الدكتور بكار, مع انه عكس حبه وإعجابه وحنكته في هذا العالم الرحب الفسيح فحسب, وإنما كتب عن علماء التحقيق في العالم العربي, ولاسيما ممن واطنه في بلده الأردن, أو ممن أقام فيه وعُرف به ككتابته عن الدكتور والباحث والناقد الكبير ناصر الدين الأسد, وكتابته عن المحقق الجليل والبحَّاثة والعلامة الدكتور أحسان عباس. ولما يقتصر الأمر على التحقيق والمحققين فقط, وإنما كتب حتى عن المظان المجهولة في تراثنا المجيد, فمرة يعرّف بكتاب الجنان ورياض الأذهان؛ لأبن الزبير الرشيد. وتارة يتحدث عن المختار في النظم والنثر لأفاضل أهل العصر؛ لأبن بشرون الصقلي. وثالثة يدبج مقالاً عن أبكار الأفكار؛ لأبن شرف القيرواني. ورابعة عن الحديقة في شعر أهل الأندلس؛ لأبن أبي الصلت الداني. وفي هذي الكتابات كلها نرى فيها الباحث الغيور على أمته ومورثوها, الصادق تُجاه قلمه, المتفاني في خدمة تراث الأمة الذي يؤكد دوماً ودائماً على ضرورة أحيائه بقوله: (فإن إحياء التراث وتحقيقه ضرورةٌ علمية قومية إنسانية لكل أمة تقدر ما هو قمين منه بالتقدير والنفع, وتحاول أن تفيد منه في الماضي والمستقبل).

وأما عن نقد التحقيق, فيتجلى في كتابه الرائع: (في تحقيق التراث ونقده), إذ عرض فيه صفحات طوالاً لهذا العلم وخطواته, سار فيها المسار التطبيقي المتميز وهو ينقد تحقيق الدكتور حسين عطوان في جمعه وصنعته لشعر علي بن جبلة العكوّك, الشاعر العباسي المشهور.

ويعمل دراسة موازنة لتحقيق شعر ربيعة الرقي, الذي جمع بعناية وصنعة السيد علي شوّاخ أولاً, وجمع وعناية وصنعة زكي ذاكر العاني - رحمه الله تعالى - ثانياً, علماً انه أول من جمع وحقق وصنع شعر الرقي وأصدره للآخرين. ولم يقتصر الأمر في نقده للتحقيق على الدواوين والمجموعات الشعرية فقط, وإنما شمل كتب الأدب أيضاً, ككتاب المصون في الأدب, لأبي احمد العسكري. وكتاب الفهرست, للنديم, بتحقيق رضا تجدد. وكتاب تحفة الوزراء, للثعالبي. فأبان عن سعة إطلاع ودراية بهذه الكتب وأصولها الخطية, وهفوات محققيها, وسلبيات التحقيق وايجابياته.

ومن خطواته في نقد التحقيق, أنه يذكر التحقيقات السابقة للنص المجموع أو الكتاب المحقق. وهو يعالج تدافع الوحدات الشعرية في النسبة للشاعر الذي ينتقد ديوانه أو مجموعه, مع الشعراء الآخرين من أبناء عصره وجلدته. كذلك يبين الأخطاء العروضية والإملائية والنحوية واللغوية التي وردت في مقدمة الكتاب المحقق, أو في المتن, أو في الفهارس.

وفي الكتب التراثية الأدبية التي عرضها بالنقد والتعقيب والتصويب, والتي أشرت آنفاً كان يركز حتى على الأخطاء التاريخية التي جاءت في المقدمة أو المتن, ويتكلم في نقده للنصوص المحققة عن علامات الترقيم ولا يرحم من يخطأ فيها مهما كان, وأنى كان, شأنها في الأهمية والمكانة شأن الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية... وغيرها. ولا يفوته أن يذكر عيوب التحقيق المهمة المشهورة في النص المحقق, من التصحيف والتحريف والزيادات والاختلافات... وما إلى ذلك.

كلُّ هذه الأمور يتناولها الناقد والمفكر والمحقق الدكتور يوسف حسين بكار, بأسلوبه الرائق الساحر, وعرضه المتسلسل المنطقي الذي لا يُملُّ, وعلمه الذي لا يبارى. عرفته عن قرب, وتسامرنا في ليلية صيفية طويلة نتكلم عن هلال ناجي, وسامي مكي العاني, ومحمود الطناحي وشوقي ضيف... فكان العالم في كل شيء, والمتواضع في كل شيء, فحفظه الله ذخراً وفخراً لأهل العلم والأدب والتحقيق ونقد التحقيق.

نشيد الصحراء... نشيد الزمان والمكان والإنسان.

وأنا أتابع مباراة في كرة القدم بين منتخب الجزائر ومنتخب إفريقي آخر لا أحب ذكر أسمه, لأنه يذكرني بأشخاص أحاولوا نسيانهم دوماً! سمعت المعلِّق يشيد بمنتخب الجزائر الشقيق ويثني على أدائه فهو فرحة العرب, وهم محاربو الصحراء الذين لا ينشق لهم غبار في الملاعب, وهم من أفرحونا بتأهلهم إلى نهائيات كأس العالم في البرازيل, فكانوا البلد العربي الوحيد الذي سيمثلنا... في المونديال, والحمد لله!

ولا أدري لماذا شدَّ انتباهي لقب الفريق على الرغم من بساطته وموافقته الكبيرة مع سمعة الشعب الجزائري المعروف بكفاحه وصبره وقوته ومقارعته الاحتلال البغيض. ولكن هذا اللقب, وهذا الفرح ذكرني بقصيدة للشاعر والناقد الدكتور محمد صابر عبيد, وسمها بـ (نشيد الصحراء). وعلى الرغم من أن الصحراء مكانٌ مقفرٌ مخيفٌ معادٍ عند الإنسان الشاعر وغيره, إلا إن الدكتور محمد عمل منه مكاناً مؤنساً مليئاً بالحياة والفرح والنشوة والشخوص الأحبة. فكانت مفارقة وهمية أولى من العنوان حتى آخر لفظة في القصيدة وما تدلُّ عليه. وعمل مفارقة لفظية ثانية حين قصد بالصحراء مدينة (وان) التركية, وهي - كسائر المدن التركية – الأخرى المتخمة بالحضارة والتألق وإبداع الإنسان في بلد الحضارة والأناقة واللطافة والجمال. ومن هنا ولد هذا المقال فكان كما ترون, وأنا أوجه شكري للمعلق الرياضي البطل الذي أخذت منه العنوان, وأوحى إليّ بالفكرة, وأظنه ردَّاً عملياً ومنطقياً على من يقول متخبطاً أن كرة القدم, لعباً وتفكيراً ومشاهدة, لا فائدة فيها ولا منفعة؟!؟!

وأما صاحب النص, فهو الناقد البارع محمد صبار عبيد, وأنا لن أتكلم عنه وأذكر فضله على الأدب والشعر والنقد الحديث, فهو المعروف والشهير.. وأدعو لمن لا يعرفه بالقراءة عنه ولاسيما في الكتب والمقالات والرسائل الجامعية الكثيرة التي كُتبت عنه وعن جهوده في اللغة والنقد والأدب والسيرة والنثر داخل العراق وخارجه.

تبدأ قصيدة (نشيد الصحراء) بمقاطع سحرية رشيقة وخفيفة جداً, يمتزج فيها المكان بالمشاعر الخيالية التي توافق مشاعر الشاعر وتبحث عن مخيلته وتنقلها من خلال (المطر, والثلج, والبحر), إلى القارئ الذي يتهادى في تتبع هذه المقاطع, ويبحث عن سرِّ الترابط بينها دلالياً, وموضوعياً, ولفظياً. التكرار اللفظي, والألوان عملت عملها, وأدّت واجبها بانضباط عالٍ, وواعٍ وهي تقتحم هذا الشطر أو ذاك, وهي تنفث سحر الأمكنة بين هذا المقطع أو الذي يليه, بحنكة وبراعة ووداعة. يقول الشاعر محمد صابر عبيد:

1. يزور المطر كثيراً بيت البحر,
ولا يفعل ذلك - حتى ولو قليلاً – مع خيمة الصحراء.

البحر ليس بحاجة إلى مزيد من الماء..
الصحراء بحاجة إلى قطرة ماء.

2. الثلج يهبط بحريةٍ وإثارةٍ وغنجٍ..
على رؤوس الجبال,
فيزيّنها بالبياض الصقيل,
ولا يفعل ذلك مع جسد الصحراء..
ربما لان دمه - في الأصل - أبيض.

3. البحر والحب توأمان...
البحر حبٌّ شاسع الزرقة,
والحب بحرٌ لا ساحل له.

إذا بحثنا عن الزمان في مقاطع النص, وجدت الليل يشكل مفارقة جديدة بوجوده مع الصحراء, الليل المظلم, والمكان المتجهم المكفهر, ولكن يا ترى كيف كانا عند الشاعر محمد صابر عبيد؟؟ وكيف جاءا مع الحب, ومع البحر؟؟ وهو المصور الناقد, الملتقط البارع والباعث عن أناقة لفظية تمثل مفارقة حقيقية في قوله:

5.الحب في ليل الصحراء.. ظمأٌ أصفر
يمكن أن ينتحر العاشق في سرابه
دون حاجةٍ ماسةٍ للغرق.

في (وان) تسعى صورة الهمس الصوتية إلى سحر آخر يضاف إلى سحر المقاطع والوحدة الموضوعية التي تنتاب القصيدة, وتشكل جسدها المرئي واللغوي. الصورة المرئية (الألوان = الأبيض + النوارس + القمر " ضوء"), وتبرز قيمة(الجزيرة = مكان أليف) وتزيد من فنية المقطع الصارخ بأول أبجديات الحب في هذا المكان الذي هو مولدٌ لكل تلك المفارقات, وتلك الصور, وهذا الصمت العجيب...!! يقول الشاعر محمد صابر عبيد:

7. الصمت العجيب في بحيرة " وان "..
لا يقلق أشجار اللوز,
ولا يزعج بياض النوارس مطلقاً,
لكنه بالرغم من ذلك يهمس للعشاق,
بأول أبجدية الحبّ,
ويعلن عن ابتسامته قريباً من عرش القمر.

الشخوص تأتي إلى هذه المقاطع في انسياب هادئ, متماثلاً مع انسياب البحر, رويداً... رويداً... محمد شيرين تقصُّ علينا ملامحه من خلال الضباب واللون:

8. لغة البحر تتسرب رويداً... رويداً...
من أناقة محمد شيرين, وسحر غموضه,
وعمق ملامحه الضاربة في اليقين,
وهي تنكشف عن ضبابٍ أخضر..
موغلٍ في الدهشة,
مثلما تركض بخفّة صوفي بارع..

وعبد الهادي تيمورتاش, يحكي تراث المساجد, وتاريخ الفتوحات التي اشتهرت في زمن الخلافة العثمانية الإسلامية, هذا التراث امتزج بألوان الطيف ألقوسي الإلهي الظاهر في السماء الموحي بتلك الذكريات الدينية والحضرية والفكرية وصورها البهية التي للأسف أصبحت مجرد ذكريات, ذكريات فحسب!! يقول:

أقدام عبد الهادي تيمورتاش,
وهي ترسم له في فناء مسجد الفاتح..
قوس قزح غريباً, ملفّعاً بالذكريات,
.....

.....
.....

أما ألنورسي, فلابد أن الضياء واللون (النور + الشمس) من يكونان صورته ومعالم شخصيته. ويقصان إبداعه في خاتمة مُغلقة تعبر الزمن, وتزيد المفارقة وتنهي المعجزة, بل وتطحنها, ولا تدع سبيلاً إلى العاجز, بل إلى العاملين المخلصين مع المبدعين, بدلالة التضاد, والضياء, والنور...

يقول الشاعر محمد صابر عبيد في خاتمة قصيدته:

9. المجد للشمس حين تخرج باشة,
مترعة بالطلع...
من ثغر (رسائل النور)
حيث يقترن ذكر البحر بأنثى الصحراء...
بين أصابع (بديع الزمان)
في لحظة عشقٍ نورانية...
تطحن المعجزة.

دار غيداء في عمَّان... تبرز الجهد العراقي الأصيل.

على الرغم من حداثتها, وصغر حجمها, وقلة كوادرها, إلا إنها أثبتت كفاءة عالية, وجودة مخلصة في سبيل نشر التراث العربي والإسلامي في كل زمان ومكان. وهي لم تختص بفن من الفنون, أو علم من العلوم. أو شخص من الشخوص, وإنما نشرت الدراسات الأدبية, والدراسات النقدية, والدراسات البلاغية, والدراسات التاريخية, وكتب السير, والنصوص المحققة, وكتب التحقيق ونقد التحقيق, والمقالات التي جُمعت في كتب مستقلة, وكتب المسرح, ودواوين الشعر, والكتب النفسية والتربوية, وكتب الإعلام والصحافة...وغير هذه العلوم والفنون والتخصصات.

وقد انمازت هذه الدار الغرّاء بالتخصص بالجهد العراقي من كل مدينة ومحافظة. وفي كل تخصص أدبي أو جامعي أو ثقافي أو تراثي. فنشرت عشرات العناوين لباحثين عراقيين من الانبار, ومن كركوك, ومن سر من رأى, ومن تكريت, ومن بغداد, ومن الموصل.... ومن غير هذه المدن. ومن هنا كان لها الفضل الكبير في إخراج جهود العلماء العراقيين إلى الناس, في زمن قلَّ فيه الناشر الوفي المخلص الأمين تُجاه العلماء والباحثين والدارسين وما ينتجون وما يبدعون.

فمن الانبار, نشرت لصحاب هذا المقال, وللدكتور حليم حماد العكرز, وللدكتور محمد عبيد السبهاني, وللدكتور محمود شاكر الجنابي, وللدكتور علي مطر الدليمي, وللدكتور إيهاب مجيد محمود, وللدكتور عمار صبار العلواني, وللدكتور أحمد علي إبراهيم ألفلاحي, وللدكتور علي ربيع الهاشمي, وللأستاذ طلال سالم ألحديثي, وللشاعر والمؤلف عادل الدرة ... وغيرهم.

ومن بغداد, نشرت دار غيداء كتب وتحقيقات الدكتورة هدى شوكة بهنام, وكتب الدكتور حسين علي إبراهيم ألفلاحي... وغيرهما كثير.

ومن سر من رأى, نشرت للدكتور علي إسماعيل جاسم السامرائي. ومن تكريت نشرت للدكتورة أسماء صابر, وللدكتور حميد حسين القيسي.

ومن الموصل نشرت للدكتور محمد سالم الكواز... وغيره.

ومن كركوك نشرت كتب الدكتور عمر توفيق إبراهيم ألصالحي, وكتب الدكتور لطيف يوسف عيسى, وكتب الدكتور فرهاد مجيد... وغيرهم.

وكانت الكتب المنشورة متنوعة في اللغة والأدب والتاريخ والتراث والتحقيق وطرائق التدريس. ونال الأدب الأندلسي المرتبة الأولى في عناوين الكتب المؤلفة

والمحققة. حتى اشتهرت الدار بأنها دار الأندلسي والمتخصصة بطبع كتب هذا الأدب, وأصبح القاصي والداني, العالم والمتعلم, الأستاذ والطالب, لا يسأل عن كتب الأدب الأندلسي إلا في هذه الدار, وما زالت تنتج الكثير منه, والمزيد عنه.

وكل هذه العناوين لاقت صدىً طيباً من القرَّاء والباحثين والمطلعين وأصحاب دور النشر ومكتبات الجامعات والمراكز العلمية والثقافية والأدبية في كل أنحاء الوطن العربي. إلا إن بعض الكتب ظهرت بأخطاء مطبعية كثيرة, وبأغلفة لا توافق العنوان ولا حتى المضمون. ومن هنا يُرجى الانتباه من دور النشر, من دار غيداء وغيرها, على مثل هذه الأخطاء, لأنها تشوّه النصوص, وتسيء إلى الكاتب وكتابه.

وحبَّذا لو يطلع المؤلف والكاتب وصاحب النتاج على الكتاب قبل أن يذهب إلى المطبعة بصيغته النهائية, وقبل إخراجه الإخراج النهائي للقارئ والمتلقي وأصحاب الشأن. حتى تتخلص الدار من شكاوى المؤلفين وعتبهم الذي أصبح ثقيلاً جداً حدّ المقاطعة, وحدّ الهجوم والنقد اللاذع الذي لا يصح مع الناشر والباحث على حدٍّ سواء.

وبودّي ألا يتصرف الناشر, ومنها دار غيداء العزيزة, في تغيير عنوان الكتاب ليكون تجارياً خالصاً أكثر من كونه علمياً ومنهجياً وبحثياً. فمثل هذه التصرفات تسيء إلى المؤلف أكثر من الناشر, وتجعله يحجم عن نشر كتبه, أو ينشرها على حسابه الخاص مهما كان باهظاً أو ثميناً.

في النهاية, أتوجه بالشكر والامتنان للأخ الطيب والصديق الفاضل المتفضل غسان محمد حسين, صاحب دار غيداء الغراء, لتفضله وداره بنشر التراث العراقي الأصيل, وتوزيعه وإبرازه للآخرين الذين ظنوا أنه ضعف وتلاشى. وجميل أن يعمل الفهرس الكامل لمنتجات الدار حتى يظهر صحة ما نقول من فضل هذه الدار على الباحثين العراقيين... أيهٍ, أبا مراد نحتاج لهذا الفهرس جميعاً. وسرْ بخطواتك العلمية والمطبعية المباركة, سرْ بأمان وعناية غير آبهٍ للآخر الحاقد الحاسد المبغض... مهما كان, وأنى كان... فأنت صوت الثقافة والإبداع العراقي الجديد الواصل إلى الآخرين في كل مكان وعلى الباري قصد السبيل.

الصداقة في الشعر الأندلسي..من تجربة أبن ليون السحرية.

الصداقة أسم جامع لمعاني الخير والمحبة والتعاون والتكاتف. عُرفت في المجتمع العربي منذ القدم, ولعل بيت الشاعر المشهور يُذكر معها أينما ذُكرت:

صديقي من يرد الضيمَ عني ويرمي بالعداوة من رماني

وفيها كتب فيلسوف الأدباء, وأديب الفلاسفة أبو حيان التوحيدي (ت414 هـ) كتاباً مهماً. تناول معانيها, وما فيها وكيف يجب أن تكون, ومع مَن, وما آفاتها, وما سمات تطورها وتجددها, وسبل توسعها.

وبعدما نشرت أستاذنا الدكتورة الفاضلة هدى شوكة بهنام, كتابها: (دواوين شعرية لشعراء أندلسيين) في دار غيداء بالأردن مع الكتب الكثيرة والمهمة التي صدرت عن هذه الدار بأقلام عراقية, ولاسيما ما يخص بالأدب الأندلسي, شعره ونثره وتوشيحه, قمت بتصحيح الكتاب أكثر من مرة واحدة, وسجّلت بعض الملاحظ والعناوين على الشعر المجموع وعلى الشعراء الذين جُمعت أشعارهم, ومنها تجربة أبن ليون في الصداقة والصديق. وأبن ليون التجيبي شاعر وأديب أندلسي عاش في القرون الأخيرة من الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس. وهو مصنف أيضاً إذ له كتاب (لمح السحر) الذي اختصر فيه كتاباً آخر في الشعر والنثر ومختاراتهما.

كانت الصداقة ومفاهيمها ومضامينها من بين أبرز الأغراض الشعرية التي جاءت في شعر أبن ليون ونظمه . وبعد أن تمَّ الكتاب ونُشر, وأخذ صداه العلمي والتجاري المُستحق عُدت إلى تلك الملاحظ والعناوين أنجز ما باستطاعتي انجازه, فكان من بين هذه العنوانات هذا العنوان, الذي أجمل فكرته في الفقر الآتية.

علينا أن نفهم بدءاً أن أكثر شعر أبن ليون في المقطعات ومنها تمتزج أغراض شعرية بهذه المقطعات, ومنها النصائح والإرشادات, ومنها الحث على طلب العلم, ومنها الأخلاق التي يجب أن تكون في الصداقة لتنجح وتستمر. ومن هذه الأخلاق النبيلة التي يجب أن تكون في الصديق المخلص لصديقه, حفظ السر. وكم عزيزٌ علينا هذا الحفظ. وكم خربت العلاقات, وقُطعت الصلات بسبب الكلام العشوائي, والنقد الجارح الذي لا يرقب في صديق إلاً ولا ذمة. فهلاّ أتعضنا من تجارب الآخرين, وهلاّ سمعنا نصيحة أبن ليون التي تقول:

أكتم السرَّ واجعل الصدر قبر هلا تُبحْ ما حييت منه بذره

أنت ما لم تبح بسرك حرٌّ فإذا بحتَ صرتَ عبداً بمرّه

من يُرد أن يعيش عيشاً هنيئاً يتحفظ مما عسى أن يضره

ويحذر أبن ليون أن يسمع الصديق صديقه ما يستاء منه, وما يحزن لأجله. ومن هنا فعلى الصديق أن يكون لطيفاً, سميراً محبباً لصديقه في اختيار الكلمات والألفاظ والمفردات في مخاطبة صديقه, وأن يكون باراً به مشفقاً عليه, أنيساً, ودوداً, طيب المعشر. يقول أبن ليون:

لا تســمِّع يومــاً صــديقك قــولاً فيــه غــضٌّ ممــن يحــب الصــديقُ

إن بــرَّ الصــديق لاشــكَّ منــه لصــديقِ الصــديق أيضــاً فريــقُ

ويدعو أبن ليون إلى حفظ عرض الصديق وكرامته, واجتناب الطعن فيه. فالكريم ذو الحسب لا يقع في هذه الأخطاء حتى مع الأعداء, فكيف مع الصديق؟! يقول أبن ليون:

إن كنــت لا تنصــر الصــديق فــدعْ ســماعك القــولَ فيــه واجتنــبِ

ســماع عــرض الصــديق منقصــةٌ لا يرتضــيها الكــريمُ ذو الحســبِ

ويركز أبن ليون التجيبي في تجربته الشخصية عن الصداقة والصديق على حسن اختيار الصديق, وأن يتجنب المرء اصطحاب بعض النماذج السيئة من الأصدقاء الذين لا تتوافر فيهم شروط الصداقة الطيبة. ولا يظن صداقتهم ستدوم وتنجح ما دامت هذه أفعالهم وهذه صفاتهم, وهذه طباعهم, على حد قوله:

أحــذر مؤاخــاة الــدنيء فإنهــا عــارٌ يشــين ويــورث التضــريرا

فالمــاء يخبــث طعمــه لنجاســةٍ إن خالطتــه ويُســلب التطهيــرا

ويقول أيضاً:

لا تصــحب الأردى فتــردى معــه وربمــا قــد تقتفــي منزعــهْ

فالحبــل إن يجــرر علــى صــخرة أبــدى بهــا طريقــةً مشــرعهْ

وليس الصديق وقت الحاجة والمنفعة فقط. وليس الذي يكون كل يوم مع صديق وصاحب من كل شكل وجنس ولون وعقيدة, فيخسر الجميع من كل شكل وجنس ولون وعقيدة. أو تنتهي صداقته ومودته بنهاية حاجته ومصلحته, كما يفعل الكثير من أصدقائنا اليوم, فيستبدلون الصديق تلو الصديق, والصاحب بعد الصاحب بلا أبسط معيار, وبلا أدنى مسوغ. بل, وليس الصديق الذي يلقاك مبتسماً, وإنما من يقدم النصح وقت النصح, والمعونة وقت المعونة, والمساعدة وقت المساعدة. يقول أين ليون:

لــيس الصــديق الــذي يلقــاك مبتســماً ولا الــذي فــي التهــاني بالسـرور يُـرى

إنَّ الــصديق الــذي يــولي نصـيحته وإن عــرت شـدة أغنــى بمـا قُـدرا

ولم تقف مبادئ الصداقة على هذه المعاني الرائعة والنبيلة في شعر أبن ليون وأدبه وتجربته الشعرية فحسب, وإنما شملت المعاني الأخرى من محبة الناس, وعدم الغرور بالنفس مهما كانت وبلغت من مالٍ أو جاه, والصدق مع الآخرين, وعدم الكذب أو التملق للأصدقاء على علاتهم ومفاسدهم... وغير ذلك مما جاء في شعر أبن ليون, ذاك الشاعر الأندلسي الأصيل الذي أتمنى أن تُحفظ أشعاره في الصداقة والنصائح والزهد والأخلاق الحميدة. وننقل ما في هذه الأشعار إلى أصدقائنا وذوينا وأن نعلمهم محبة الصديق وإكرامه بما يستحق كما كان أسلافنا يعملون ويريدون أن نعمل, بعيدين عن ألمراء والتزلف والملق.

فالصداقة مفهوم أنساني وأخلاقي رائع يشمل الكل, بقيمه التربوية, ومعانية الأخوية. فيجمع أهل الوظيفة في وظائفهم. وأهل المساجد في مساجدهم. وأهل الحارة في حارتهم. إنها من تجمع ملتقى الأحبة الثاني والثالث والرابع في منطقة سكناهم الأولى, ومكانهم الأم الذي يجتمعون فيه كل عام. شريطة أن يكونوا عادلين في توزيع دعوات اللقاء, منصفين في كلامهم عن الأصدقاء والخلان, يجمعهم المعروف, ويبكي عليهم الفراق, ويخاف منهم الغرور ويحذرهم, وتلّمهم المودة والصفاء والتناصح... كما قال أبن ليون!!!

طلال سالم ألحديثي... كلمات في سيرته وآثاره.

وُلد الناقد والباحث والمُحقق والفولكلوري طلال سالم ألحديثي في الحديثة في أعالي الفرات غرب الرمادي, في محافظة الانبار في العراق, في الأول من تموز, من عام 1944م. وتخرج من مدارسها ومن مدارس الرمادي حتى وصل إلى درجة البكالوريوس في اللغة العربية من كلية الآداب في جامعة بغداد, وحصل على هذه الدرجة في العام الدراسي 1967 – 1968.

وحصل على شهادة الدبلوم العالي من معهد الإنماء العربي في الجامعة المستنصرية في العراق, عام 1979.

وحصل على عضوية الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق منذ سنة 1973, وإلى الآن.

وحصل على عضوية نقابة الصحفيين العراقيين منذ سنة 1976, وإلى يومنا هذا.

للأستاذ الكبير والباحث الناقد طلال سالم ألحديثي نتاج كبير في التأليف والنشر. بدأ مُذ سنة 1976, أي مُذ كان في الصف الأول من مرحلة البكالوريوس في كلية الآداب بجامعة بغداد. وهذا ما يدلُّ على ذكائه, وشدة تمكنه من البحث, وجرأته في التأليف والنشر في مراحل متقدمة من الحياة.

وواصل الباحث طلال سالم النشر والتأليف والتحقيق وكتابة الرواية ونظم الشعر إلى يومنا هذا, على الرغم من كبر السن, وكثرة المشاغل, وفقده أحد عينيه, ومرضه, وغربته خارج الوطن والأهل والأصحاب.

وللمؤلف طلال سالم أسلوبه الخاص الذي لا يُملُّ في الكتابة والبحث والنشر. وأراه في جُل إصداراته يعتمد كثيراً على نفسه ومعلوماته, وعلى تحليلاته الشخصية في أكثر كتبه, متناسياً دور المظان والمصادر مهما كانت, ومهما بلغت.

ومثلما نشر الفاضل السالم طلال سالم, كتباً في التراث والفولكلور, نشر الدراسات النقدية لكبار الشعراء في حديثة, ومن العراق وخارجه. وكتب الرواية, ونظم الشعر, وكتب المقالات والأبحاث المختلفة التي تخصّ شاعراً, أو نصاً, أو قضية ما... اجتماعية, أو ثقافية, أو فكرية, أو إعلامية, أو تراثية... الخ.

وكانت هذا الأخيرة, من المقالات والأبحاث, قد نُشرت في مجلات عراقية وعربية أصيلة ومحكمة ولها وزنها الثقافي والعلمي المحمود الكبير. ولعلَّ من أهمها: مجلة المورد, ومجلة الأقلام اللتين تصدران في بغداد. ومجلة الآداب, ومجلة الأديب اللتين تصدران في بيروت. ومجلة نادي القصة العربية التي تصدر في القاهرة. وإذا

أضفنا الصحف العراقية والعربية الأخرى التي نشرت مقالات الأستاذ طلال سالم, ومراجعاته, ومطالعاته, رأينا أن نتاجه من هذه المقالات وصل إلى أكثر من خمسمائة مقالة في مختلف الفنون والآداب...كما أسلفت.

وأما عن باقي آثاره من الكتب والتآليف والتحقيقات فكانت على الآتي:

- شروح الأصفهاني في كتاب الأغاني, مشترك, بغداد, 1967.
- صور من حياتنا الشعبية, بغداد, 1968.
- مقدمة وستة شعراء, بغداد, 1970.
- من التراث الشعبي في العراق, بغداد, 1972.
- الشعر قديمه وحديثه, مشترك, الكويت, 1986.
- في مرابط خيل الشاه, رواية, بغداد, 2007.
- الفولكلور في حياتنا المعاصرة, بغداد, 2007.
- عبد الله الفاضل, حياته وأدبه, مشترك, دمشق, 2010.
- السلطان, رواية, دمشق, 2010.
- مراجع في الفولكلور, دمشق, 2011.
- بغداد قصيدة الماء والنار, دمشق, 2011.
- روايات عراقية, دمشق, 2011.
- الساقية, ثلاثية, دمشق, 2011.
- مراجع في الفولكلور السوري, دمشق, 2011.
- مقالة في جمالية الألفاظ القرآنية, دمشق, 2011.
- تجديد ذكرى مدني صالح, دمشق, 2011.
- حكايات وعتابات, مشترك, دمشق, 2011.
- القاموس القرآني, تحقيق, مشترك, دمشق, 2011.
- شلال الشعر, دراسة في شعر خلف دلف ألحديثي, دمشق, 2012.
- شعرية البساطة, دراسة في شعر عادل حريز الدرة, دمشق, 2012.
- لغة الجسد وفلسفته في التراث العربي, دمشق, 2012.
- لغة الجسد في التراث الشعبي العربي, دمشق, 2012.
- الآثار الباقية من القرون الخالية, تحقيق, مشترك, دمشق, 2012.
- مراجع في المنطق, دمشق, 2012.
- روضة الورود, تحقيق, مشترك, دمشق, 2012.
- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر, تحقيق, دمشق 2012.
- عطر الأحزان, ديوان شعر, دمشق, 2012.
- علي الوردي والأدب الحي, بغداد, 2013.

- ما تقوله الرحى, رواية, حديثة, 2013.
- أبدأ من وجعي, دراسة في شعر ناجي إبراهيم, حديثة, 2013.
- صديقتي الكلمة, حديثة, 2013.
- التيجان, تحقيق, دمشق, 2013.
- عطر الأحزان, ديوان شعر, دمشق, 2012.
- من أول كلمة إلى آخر قصيدة, دراسة في شعر مهند ناطق وطلال سليم, البيت الثقافي في الحديثة, 2013.

إنه يستحق منا الدراسات والدراسات التي تتناول أسلوبه القصصي, وبناءه السردي, وجهده في التحقيق, وجهده في الدرس البلاغي والنقدي الحديث, وجهوده في التراث والفولكلور... وإننا حاضرون لخدمة هذه الجهود.

إني أحب هذا الرجل لأنه رجل معطاء دؤوب, مخلص لتراثنا الفكري والعلمي والشعبي. ولأنه صديقي, وأبن مدينتي.....

طلال سالم ألحديثي... صديق التراث والشعر والمكان.

عرفت كتبه, وسمعت به قبل ألتقي به في سنوات الطلب والدراسة. كان ذلك في يوم ربيعي لطيف من أيام دراستي للدكتوراه في كلية الآداب بالجامعة المستنصرية, وكان ذلك عندما ذكره أستاذنا المرحوم الدكتور حسن يحيى محمد رضا الخفاجي في مادة البلاغة. وكان أستاذنا - رحمة الله عليه -, قد كتب بحثاً مهماً وقيماً عن ملامح المخيلة في الشعر العراقي الحديث... التشبيه أنموذجاً. وكان من بين مظان هذا البحث كتاب الناقد - كما وسمه - طلال سالم ألحديثي (مقدمة وستة شعراء). فاستغربت للاسم واللقب والعنوان. وطفقت أتحرى عنه هنا وهناك, حتى عرفته باحثاً أصيلاً, ملمّاً بالتراث ولاسيما في الفولكلور العراقي, وفيما بعد غير العراقي, ومن ثمَّ في التحقيق, وفي كتب الرواية والقصة ونظم الشعر.

وبعد افتتاح البيت الثقافي في الحديثة, على غرار البيوتات الثقافية في العراق, وتجربتها الرائدة التي أطلقت في البلد في السنوات الأخيرة, تعرَّفت على نتاجه بشكل أكثر, وقرأت كتبه بشيءٍ من التفصيل والعناية, فأعجبني ما عرفت وما قرأت. وأما عنه شخصياً, فبعد السؤال والاستفسار من المحبين والمقربين له, علمت أنه في سوريا فحزنت لذلك كثيراً. ولكن هذا الحزن سرعان ما تبدد إذ علمت فيما بعد انه عاد إلى أهله وبلده ومدينته, فسعدت بذلك سعادة غامرة, وأمعنت النظر في كتاباته ودراساته الأخيرة. وكنت أجمع الملاحظ العلمية والمنهجية والبحثية على تلك الدراسة أو هذا البحث وتلكم المقالة, مهما كانت هذه الملحوظة بسيطة أو قصيرة... حتى أدركت جلياً أن الباحث والناقد والأستاذ والمحقق طلال سالم ألحديثي مكثراً من النتاج والبحث في أغلب التخصصات الأدبية التي يحيطها علمه, ويتسع لها تخصصه, وتدخل في ميدان دراسته وتحصيله الجامعي والدراسي.

وكما ذكرت سابقاً, فبعد سوء الأحوال السياسية والمعيشية في سوريا الشقيقة, عاد الأستاذ طلال سالم ألحديثي إلى مدينته الحديثة يقيم فيها ما تبقى من عمره, حاملاً معه نتاجه الثر, وكتاباته المختلفة, وروایاته الأخيرة. وعاود الاتصال بالمثقفين والشعراء والأدباء في البلد. وعاد إلى نشاطه في البحث والتأليف والتحقيق, وإقامة الندوات والمحاضرات ويشارك بها المشاركة الفعالة والناجعة على كل الأصعدة. التقيت به أكثر من مرة واحدة, في أماكن مختلفة, وأوقات مختلفة, فوجدته الأستاذ الجدير بالاحترام, والشخص الذي تخرج منه المعلومات والسير والأخبار بصورة عفوية جدا, وبطريقة مرتبة جداً جداً.

وهو ليس صديقاً للمثقفين وسميرهم ونديمهم في كل مكان وزمان فحسب, وإنما هو صديق التراث والمكان والشعر. ففي التراث اصدر التراثي طلال سالم الكثير من

العناوين, في التحقيق والتراث الشعبي والفلكلور. ولعل من أهمها, شروح الأصفهاني في كتاب الأغاني, وصور من حياتنا الشعبية, والفولكلور في حياتنا المعاصرة, ومراجع في الفولكلور, والقاموس القرآني (تحقيق), والآثار الباقية من القرون الخالية (تحقيق), ومراجع في المنطق, وروض الورود (تحقيق), ونخبة الدهر في عجائب البر والبحر (تحقيق), و التيجان (تحقيق), ... وغيرها.

وبدا التراثي والمحقق طلال سالم صديقاً محباً لهذا التراث, عاشقاً له, خادماً له الخدمة الأمينة الناصحة, فنراه يأتي بعشرات النصوص, مئات التخريجات, وكثرة التعليقات والشروح. وينعم النظر في فصول الكتاب التراثي أو الشعبي أو الفولكلوري. وفي المقدمة والهوامش والفهارس في الكتب المحققة, حتى يصدر الكتاب أو التحقيق عن صديق فيه من الصداقة الصادقة الحقيقية لمن يحب ولما يحب.

وأما صداقته للمكان وأنماطه وآلياته ودلالاته, فتبدو هذه الصداقة حميمة جداً في آثار الناقد والباحث والمؤلف ألحديثي. يبدو ذلك من عناوين كتبه ومؤلفاته, إذ يظهر المكان بكل دلالاته المعروفة, وآلياته المتداولة. ومن ذلك روايته (في مرابط خيل الشاه), فالعنوان دال على مهم على المكان, وما في الرواية إلا تجسيدٌ لهذا المكان المعادي وما دار فيه. رواية تحمل الكثير من الدلالات, وتمتزج إلى حد بعيد بفن السيرة الشخصية, ومعاناتها في سنين طويلة.

ومن تآليفه الأخرى, (بغداد قصيدة الماء والنار) و وروايته (الساقية), وروايته (ما تقوله الرحى), وسيرته العلمية والشخصية في كتابه (صديقتي الكلمة). وهذه المؤلفات والروايات كلها تستدعي المكان وتدور في فلك أنماطه, وتنصهر في بوتقة دلالاته المختلفة الأليفة والمعادية والمغتربة, الطبيعية والصناعية... يعرضها الكاتب والروائي طلال سالم بأسلوبه رشيق سهل, يُحسن الاستخدام, ويُفهم الأذهان, ويشرح الصدور.

وأما عن صداقته للشعر, فكان الشعر ولا يزال الصديق الروحي, والنديم الأكبر للأستاذ طلال سالم ألحديثي, الأنيس له في وحدته وغربته. فهو الحفيظ له, المستشهد به كل صغيرة وكبيرة, شاردة وواردة في كتبه, في تحقيقه, في جلسات سمره, في نداوته, في مناقشاته. وما ما أنتج في هذي الصداقة, كتابه (الشعر قديمه وجديده), وكتابه (شلال الشعر) وهو دراسة عن شعر الشاعر خلف دلف ألحديثي, وكتابه (شعرية البساطة) وهو دراسة عن شعر الشاعر عادل حريز الدرة, وكتابه (أبدأ من وجعي) وهو دراسة عن شعر الشاعر ناجي إبراهيم, وكتابه (من أول كلمة إلى آخر قصيدة) وهو دراسة عن شعر الشاعرين المبدعين مهند ناطق وطلال سليم. ما عدا المخطوطات التي يعدّها عن هذا الشاعر أو ذاك ومنها دراسته عن شعر محمود حمادي المحمدي... وغير ذلك كثير و نتمنى له مزيداً من الصحة والعافية والأمان

لينجزها, ويخرَّجها إلى المتلقين والدارسين والباحثين, ونحن منهم إن شاء الله وننتظرها بفارغ الصبر والوقت.

وقد أختار لهذه الصداقة الحميمة عناوين مناسبة لدراستهم ودراسة أشعارهم. كلا بحسب ما يستحق وما ينبغي له أن يكون, موضوعاً ومنهجاً وعنواناً. وتأتي في دراسته لهذا الشاعر أو ذاك السيرة الشخصية للشاعر, وشعره من النواحي البلاغية والنقدية والتركيبية والصوتية. وفي كل هذه الدراسات يحلل الناقد والباحث طلال سالم النصوص الشعرية لشعرائه, ويثبت تفوقها ونضجها, وتميزها وأصالتها عن شعر الآخرين ودواوينهم.

وأخيرا, لا أنسى أن انوه في صداقة الأستاذ والأديب طلال سالم للشعر, إنه شاعر أيضاً وإن ديوانه (عطر الأحزان) مطبوع متداول, وسنخصه بدراسة مستقلة في قادم الأيام والأعمال إن شاء الله تعالى.

وآخراً, ألا يستحق منا هذا الناقد والباحث والمحقق والتراثي والشاعر تكريم المحبين, وثناء المعجبين, ولو بشكل رمزي يحفظ لنا تراثنا وفكرنا وشعرنا وإبداعنا. ألا يستحق أن يكون ضيفاً في شاشات التلفاز, وعلى المحطات الفضائية التي ملَّ منها المُشاهد من كثرة الوجوه المكررة, والقضايا السقيمة التي ليس لها حلّ, والأفكار الجاهزة التي ما فيها إلا إضاعة الوقت والجهد, تلك البرامج والفضائيات والشاشات التي تثبت فشلها وعجزها يوماً بعد اليوم.....ومن الجميع؟!

مواعظ أبن السماك...دراسة في فن الموعظة الشخصية.

أبن السماك واعظ إسلامي كبير عاش في العصر العباسي, وتوفي في سنة مائة وثلاث وثمانين للهجرة, وقد أسنَّ, وهذا سرُّ بقاء حكمته, ونفاسها, وخلودها, لأنها برأيي صدرت عن تجربة في الحياة, عن دراية واتزان.

وعن هويته المعرفية والشخصية, فهو محمد بن صبيح العجلي, أبو العباس, أبن السماك. عاش في حياة الدولة العباسية, وكان من وعَّاظ هارون الرشيد.

من شيوخه وممن روى عنهم: هشام بن عروة, والأعمش, ويزيد بن أبي زياد..., وطائفة, ولم يكثر.

أما من أخذ عنه وتتلمذ على يديه, وروى عنه - رحمه الله تعالى -: أحمد بن حنبل, ويحيى بن أبي أيوب العابد... وغيرهم.

قيل فيه وفي صفاته: الواعظ, الزاهد, القدوة... وما إلى هناك.

اشتهر ابن السماك بالوعظ والإرشاد, حتى كان من أكبر وعَّاظ الدولة الإسلامية, ليس الدولة العباسية فحسب. ومواعظه وحكمه وأقواله البليغة العميقة تأتي في كل الكتب والرقائق والنفائس الأدبية والدينية الإسلامية القديمة, المطبوعة والمخطوطة وحتى المفقودة, إذ تناقل مصنفوها حكم هذا الرجل وبلاغته في آثارهم, ودونوها في مدوناتهم, وحفظت لنا النصوص المنقولة من هذه الكتب المفقودة الكثير الرائع من تلك الحكم والبلاغة. وما زالت هذه الكتب تتناقل تلك الحكم, والمآثر, والأقوال على مر الأزمان والعصور إلى يومنا هذا.

وتشتهر مواعظ أبن السماك بإيجاز العبارات وتناسقها من حيث السجع, والضربات الموسيقية التي تأتي مع كل فاصلة, ومع كل نهاية. وتكثر فيه المحسنات البلاغية واللفظية التزينية التي تجعل الذهن ينشد لها وتستوقفه, فيحفظها ويرددها في نفسه, وبين الآخرين.

الأمر, ذاك الأسلوب البلاغي ألطلبي, يأتي في بدء موعظة مهمة لابن السماك عن الهوى والعقل, ويجعل معاني النصح تنثال عقب هذا الأسلوب ألطلبي البليغ الذي خرج إلى النصح والإرشاد والوعظ, انثيالاً محموداً مرغوباً فيه وفي معانيه. يقول ابن السماك: (كن لهواك مسوفاَ, ولعقلك مسعفاً,, وانظر إلى ما تسوءُ عاقبته فوطّن نفسك على مجانبته, فإن ترك النفس وما تهوى دؤاها, وترك ما تهوى دواؤها, فاصبر على الدواء, كما تخاف من الداء).

فأنظر - رحمك الله - إلى الأمر كيف كان في بدء الكلام, وكيف جاءت العبارات من بعده تؤازره, وتشد بعضه بعضاً. وكيف جاء التضاد بين الداء وبين الدواء, المسوغ للدلالة, والرابط للمعاني, والمختصر للألفاظ, والمزيد في النغم الموسيقي بين الجملة والجملة الأخرى.

ومع الاستفهام الإنكاري الذي خرج إلى معنى التهويل والمبالغة, يوعظ ابن السماك الناس في فائدة العلم وضره. ولعلّ هذه الموعظة كانت في مفارقة دلالية لفظية رائعة, كما يقول: (كم من شيء إذا لم ينفع لم يضر, لكن العلم إذا لم ينفع, ضر).

ومع التقديم والتأخير, يكون الواعظ ابن السماك قد استند إلى فن بلاغي آخر غايته قصر المعنى على المراد. وأظنُّ أن مراد ابن السماك كان كبيراً وعزيزاً حتى جعلت موعظته قوية جزلة ذات معاني جليلة أبكت الرشيد بشدة وهو يسمعها تقول: (يا أمير المؤمنين, إن لك بين يدي الله مقاماً, إن لك من مقامك منصرفاً, فأنظر إلى أين تكون؟!

وفي التكرار اللفظي, يكون ابن السماك قد وضع أمام القارئ والمتلقي والسامع نصائحه ومواعظه بشكل صريح وعملي جداً. يستطيع معها المرءُ أن يختار كيف يكون, أو كيف يجب أن يكون, وهو يقرأ لابن السماك هذه المواعظ البليغة, والنصائح الثمينة, كقوله: (همة العاقل في النجاة والهرب, وهمة الأحمق في اللهو والطرب).

وقوله: (هب الدنيا في يديك, مثلها ضُمَّ إليك. وهب المشرق والمغرب يجيء إليك, فإذا جاء ألمحت, فماذا في يديك؟!).

ويبرز في مواعظ ابن السماك التلاعب اللفظي بين الكلمات والألفاظ حتى يُختصر الكلام, ويدلُّ على معانٍ عظيمة وكبيرة, تؤتي أكلها كلما قُرأت أوسُمعت. يقول ابن السماك عن الدنيا: (الدنيا كلها قليل, والذي بقي منها قليل, والذي لك من الباقي قليل, ولم يبقَ من قليلك إلا القليل).

وقوله وقد دخل على رئيس شفاعة لفقير: (إني أتيتك في حاجة, والطالب والمُعطي عزيزان إن قضيت الحاجة, ذليلان إن لم تقض, فأختر لنفسك عز البذل عن ذل المنع, وعز النجح عن ذل الرد).

في النهاية, هذه صورة موجزة عن مواعظ ابن السماك وما فيها من فنون بلاغية وأسلوبية, أتمنى أنها كانت خفيفة بليغة مُوعظة... وقد فكرت بأن أجمع يوماً مواعظ ابن السماك في عمل خاص يحفظ لهذه المواعظ والقيم رونقها, وأهميتها, وحنكة صاحبها وبلاغته, كما فعل صديقنا الدكتور سهيل نجم البصري حين جمع وشرح مواعظ ابن القيم, والحمد لله لم يسأل عنها أحد ولم يتداولها أحد, ولم يكتب عنها أحد! فتركت فكرتي السابقة, وتركت القارئ اللبيب يسأل عن هذه المواعظ ويتتبعها في بطون الكتب ومظانها الحقيقية, فذاك أفضل من تتبع عورات الناس وسوءاتهم, وأفضل من البحث عن نغمات ورسائل جديدة للجوال وفي الحاسوب. وربما عدت يوماً إلى فكرة الجمع والترتيب والتحقيق والدراسة والصنعة والنشر لرقائق ونفائس ابن السماك وتراثه في الوعظ والنصح, إذا أحسست أن المجتمع بدأ يعود إلى ثقافته الحقيقية, وكيانه الخُلقي العربي الأصيل, وذوقه البلاغي السليم, ويا ليت شعري متى سيكون.....؟!؟!؟!

نـهاية الشعر.....

قد يكون عنوان المقال صارماً, وفيه شدة وغلظة قد لاتصح مع الكثير من فقراته التي ستأتي بالشرح والتعبير والتحليل والحكم. ويقد يُغضب هذا المقال أناساً وشعراء ً ودور نشر ومطابع, وقد يقاطعون صاحبه, أو يهجوه, ويتكلمون عليه وعلى خُلقه, كما فعل الكثير من الصعاليك وقليلي الذمم, وناكري الجميل من قبل. وقد تكثر قد, وتتحول من التقليل إلى التكثير في كثرة الاتهامات, ومن يتفوّه بها, ومتى, وكيف!! إلا إن الواجب العلمي والعملي والأدبي والفكري يحتم علينا أن نبوح بكل مشاعرنا, وان نمتطي صهوة القلم الرفيع الذي يتحدث عن المبدعين وإبداعهم, وعن الفوضويين والاعتباطيين, وفوضويتهم واعتباطيتهم. ومن هنا رأيت من واجبي, ومن واجب هذا القلم أن يختار موضوعاً عن النتاجات الأدبية والشعرية - تحديداً وتخصيصاً-, والتي صدرت في الآونة الأخيرة في مدينتي الحديثة, مدينة النواعير والشعر والشعراء.....

وبدءاً, لابد أن نقول أن الانفتاح الثقافي, وكثرة المطابع ودور النشر في العراق والعالم العربي, لا يعدُّ ظاهرة صحية وثقافية بالمعنى الصحي والثقافي المعهود. فقد هبت رياح حارة متربة من هذه المطابع والدور أتت على الأصيل النفيس من تراثنا وإبداعنا, وفتحت الأبواب والنوافذ أمام النقاد لينهالوا عليها وعلى ما تنشر بالنقد اللاذع, والصريح عن هذا الكتاب, وذاك الديوان, وتلكم الطبعة...وفي الحقيقة كان نقدهم سليماً, ومنطقياً, وعملياً, فيه النظرة الصائبة, والتعليق الصائب, والتعقيب المُميز, والاستدراك الواضح الذي يجب أن يؤخذ من الجميع بعين الاحترام والتقدير والمداولة... مؤلفاً, وشاعراً, ومحققاً, وناشراً, وقارئاً, ومتلقياً, ومثقفاً, وبائعاً, ومقتنياً....

والحديثة, مدينة الشعر والنواعير. هما ما يميزاها, ويؤكدا أصالتها, وثقافتها. فلا تذكر إلا ويذكر الناعور من شواهدها وشواخصها, ولا تذكر إلا ويذكر الشعراء الذين تغنوا بهذا المكان الجميل, وبهذا الناعور وصوته الحنون, الأصيل, الجميل, الذي يفيض تراثاً, وتميّزاً, وثقافة.

وقد كتب الأستاذ الدكتور بهجة عبد الغفور ألحديثي – أستاذ الأدب العربي القديم, وأستاذ التحقيق والتراث في جامعتي بغداد والشارقة -, كتاباً سماه (النواعير وشعراء الحديثة..), فيه عشرات الشعراء, ومئات النماذج الشعرية من قصائدهم ونظمهم, وقد أعاد طبع هذا الكتاب أكثر من مرة واحدة, وما زال القراء يسألون عنه, ويقتنونه... على الرغم من انه بحاجة إلى زيادات وإضافات مهمة تستوعب الشعراء الجدد, وتتكلم عن دواوينهم ومجموعاتهم الشعرية. كما أنها تزيد من الصفحات التي تكلمت عن الشعراء السابقين, وعن نتاجهم الأدبي والفكري الجديد, وقصائدهم الأخيرة..... حجماً وكثرة

وكذلك كتب الأستاذ والشاعر والمؤرخ عبد المطلب حامد الراوي كتابه القيم (أدباء معاصرون من الانبار), في جزئيه الأول والثاني, وضم العشرات من شعراء الحديثة, والحديث عن شعرهم القديم والجديد, ونماذج لهذين النوعين. وكان هؤلاء الشعراء هم المتميزون في الترجمة والنتاج الشعري, كثرة ونشراً.

ولكن, وآهٍ... لما بعد لكن التي تفيد الاستدراك على كل ما قلناه, وما يمكن أن نقوله, بل, ونحكم على ما قلناه أو ما قد يقال في هؤلاء الشعراء ودواوينهم وقصائدهم....., وإليك تفصيل كل ذلك وبيانه.

عرفتُ أكثر الشعراء في مدينتي الحديثة بعد افتتاح البيت الثقافي فيها, وبعد أن التقينا, وتسامرنا نتحدث عن أبي تمام والمتنبي والسياب... ومن ثمَّ تطورت العلاقة أكثر بعدما وصلت إليّ هداياهم من الدواوين والمجموعات, عن طريق الشعراء أنفسهم, أو عن طريق البيت الثقافي في الحديثة, أو التي قرأتها عن طريق المكتبات العامة والشخصية في القضاء.

وتوطدتْ أواصر العلاقة أكثر فأكثر بيني وبين هؤلاء الشعراء, عندما استحدثت كلية التربية الأساسية في الحديثة, وعندما استضافت الكلية عدداً كبيراً منهم في المواسم الثقافية, والفعاليات الأدبية, والمهرجانات المتنوعة التي أقامتها للعام الدراسي 2011- 2012.

وكنتُ في كل مرة أعود إلى هذا الديوان أو ذاك, وإلى هذا المجموع الشعري أو غيره, وأقرأ لهذا الشاعر, ولسواه, ولمن قبله, ولمن بعده. شاباً, وشيخاً. عالماً أو متعلماً... وأدون بعض البطاقات والجذاذات على هذا الديوان أو المجموع, وعلى شعر فلان أو فلان... حتى امتلأت الغرفة, وامتلئ المكتب في البيت والكلية بعشرات البطاقات التي تقترح موضوعاً, أو فكرة, لبحث أو مقال أو دراسة. تبرّز جهد الشاعر, وتُبقي على وفاء الدارس للشاعر ومدينته وأهله وذويه من أصحاب الفكر والأدب والثقافة. فكان من بين تلك المقترحات: الآخر في شعر... الذات والآخر في شعر الشاعر... ديوانه... أنموذجاً. المفارقة عند شعراء الحديثة. اللون ودلالاته الموضوعية والفنية في شعر فلان.... أو في ديوان فلان... أو في مجموع فلان...الشعري. المكان الأندلسي في شعر فلان, أو عند شعراء الحديثة... وما إلى هذه العنوانات والمقترحات المنتشرة على الساحتين الأدبية والبحثية.

وللأسف لم أجد أياً من الشعراء من تستطيع قصائده وأبياته أن تغطي هذا المقترح, أو ذالك العنوان, أو هاتيك الدراسة. على الرغم من كثرة الشعراء, وكثرة الدواوين والمجموعات الشعرية الصادرة والمنشورة كثرة عجيبة غريبة!!!

لقد كان الشعر على كثرته وتوافره تقليدياً جافاً, نمطياً كلاسيكياً ليس إلا؟! يطغى عليه الجانب الانفعالي والعاطفي المشبع من قضية أو موقف أو شخص. وما فيه من الشعر إلا الوزن والقافية, وحتى في هذين المصطلحين من مصطلحات علم العروض, اعتلاهما بعض النقص, وانتابتهما بعض العيوب والهنات.

ولم تستطع هذه الدواوين والمجموعات, على كثرتها ووفرتها, أن تسد جوع الباحث, وان تشبع رغبته في دراستها, والاستشهاد بنماذج منها في أي مقترح, أو فكرة, أو بحث أو دراسة أو مقالة. ما عدا بحثنا عن المكان في شعر محمود دلّي آل جعفر, المنشور في مجلة أوراق فرئيته في بابل. والمكان في شعر عدي أحمد الحياة, الذي سيأتي للنشر, إن شاء الله تعالى.

وكانت اغلب الدواوين والمجموعات الشعرية الصادرة والمنشورة للشعراء في الحديثة في العصر الحديث, قد صدرت عن دور نشر سقيمة وغير مشهورة عن الجميع من الشعراء والباحثين والدارسين والنقاد في العراق أو الوطن العربي الكبير. كما كانت اغلب النصوص الشعرية الواردة في هذه الدواوين والمجموعات الشعرية, قد تناصّت مع الدواوين الأخرى لشعراء آخرين, من الحديثة, أو من العراق, أومن الشعراء العرب, أومن التراث الشعري العربي في عصوره البهية المختلفة, تناصّاً غير موفق, وغير لائق البتة؟! ولعلّكم تعرفون ما أريد أقوله, وتدركون خطورته أيها الشعراء والأدباء والنقاد.

أذن, ليست كثرة الشعر, والشعراء, والدواوين والمجموعات, ودور الطبع, ومكاتب النشر مفيدة في كل الأوقات. وليس إصدار الديوان بعد الديوان, والمجموع تلو المجموع, دلالة على حسن النظم, وجودة القريض, والتمكن في الصنعة. ومن هنا أدعو جميع الشعراء الاصلاء من أبناء مدينتي الفاضلة المتفضلة على الشعر والتراث والفكر, أن يراجعوا قصائدهم, وما ينظمون, وان ينعموا النظر في تراثنا الأدبي الشعري الأصيل, وان يكونوا من أصحاب الشعر الحولي ألمحكك, لتكون قصائدهم كقصائد أسلافهم, روعة وأتقاناً وإحكاماً, ولتتسع لكل الموضوعات والمقترحات من أي باحث أو دار أو ناقد للشعر ولشعراء على مر العصور والأزمان, كما كان شعر أبي تمام والمتنبي والسياب....وأن يكفوا عن الإصدارات المتكررة, والنشر في هذه الدور والمطابع ...وإلا كانت النهاية الحقيقة للشعر, ولنتذكر الصوت السرمدي الصادح:

إنما العاجزُ مَن لا يستبدْ

نادر هدى قواسمه... إضاءات في حياته وشعره.

إضاءة (1): حياة الشاعر.

في كفر يوبا وبين أحضان اربد, وبين تلك الجبال الخضراء, والسهول الفيحاء, وعلى صخرة صماء, شهدت ولادة الشاعر الكبير نادر هدى قواسمه. ذلك الإنسان الحساس المتألم, المتفائل الباكي, التراثي المتجدد. ولك أن تقول ما تشاء عنه وعن شعره.

ولد الشاعر الكبير نادر هدى قوا سمة في أربد في الأردن سنة 1961م. وأُجيز في العلوم السياسية والإدارية من الجامعة اللبنانية سنة 1984م, وكذلك أجيز في الحقوق سنة 1985م, ومن الجامعة نفسها. ولقد مارس الشاعر نادر هدى الأعمال الاستشارية والقانونية محامياً منذ سنة 1985م إلى أن أحيل على التقاعد اعتباراً من سنة 2011م, متفرغاً لمشروعه الإبداعي والأدبي والثقافي.

كانت بداياته الأدبية في بيروت ولاسيما بين السنوات 1980و 1985م.

وهو عضوٌ في رابطة الكتاب الأردنيين.

وعضوٌ في الاتحاد العام للكتاب والأدباء العرب.

ورئيسٌ سابقٌ لملتقى أربد الثقافي لدورات عدة.

وهو الآن منشغلٌ بإصدار الجديد من مجموعاته الشعرية, والكتب التي تكتب عنه وتدرس شعره من أنحاء الوطن العربي الكبير, كما روى لي ذلك بنفسه وفي بيته.

وأما عن حالته الاجتماعية, فهو متزوج من السيدة أروى القاضي التي أعدت عنه بعض الكتب. وله خمس أزهار: محمد وقاسم من الأبناء, وآلاء وروى وبهية من البنات.

يمتاز الشاعر نادر هدى بهدوء الطبع, والذكاء المتوقد, والغيرة الوطنية الخالصة والتي أجزم أني ما رأيتها في شاعر وأديب غيره في عصرنا الحديث. كذلك هو طيب المعشر, كريم النفس, يحمل الأخلاق العربية الأصيلة. وجدته واقفاً أمام قاعة المؤتمرات والندوات في جامعة اليرموك بإربد يدعو لبيته الباحثين والدارسين من كل مكان, ويقد لهم هداياه الثمينة من إصداراته الشعرية ومما كُتب عنه, بفرح غامر...حقيقةً: كأنك تعطيه الذي أنت سائله.

وعن أسمه الحقيقي فهو نادر قاسم محمد قواسمه, ولكنه تخلى عن الاسم العشائري إلى الاسم الشعري هدى، نوعاً من التمرد على القيود المفروضة, وكأنه يخلع اسم القبيلة, وينفصل عنها ليكون ذاته الجديدة في النسب كما كانت في الأدب.

إضاءة (2): إصداراته.

مسيرة حافلة من النتاج والعطاء والإصدار عند نادر هدى قواسمه. إذ هو مكثر منتج فلقد اصدر في حياته الأدبية المجموعات الشعرية والنثرية الآتية:

- مملكة للجنون والسفر, المؤسسة الجامعية – بيروت, 1984.

- مسرّات حجرية, دار الحداثة – بيروت, 1985.
- لن تخلصي مني, دار الحداثة – بيروت, 1993.
- ثلاثية (مملكة للجنون والسفر, مزامير الريح, لن تخلصي مني)دار الكندي – الأردن, تاله – ليبيا, 2001.
- حبر العتمة, دار قدسية –الأردن, 1992.
- مزامير الريح دار الحداثة - بيروت, 1993.
- عالم لست فيه...؟! وزارة الثقافة –الأردن, 2000.
- ثلاثية (حبر العتمة, مزامير الريح, لن تخلصي مني) وزارة الثقافة –الأردن, 2010.
- كذلك.., دار الكندي –الأردن, تالة – ليبيا, 2001.
- أنت.., دار الكندي –الأردن, 2004.
- سأعد أيامي بموتك, دار الكندي –الأردن, 2004.
- أروى, وزارة الثقافة –الأردن, إبداعات (43), 2006.
- نار القرى, عالم الكتب الحديث, جدارا للكتاب العالمي – اربد, 2007.
- حدائق القلق, وزارة الثقافة, إصدارات أربد – مدينة الثقافة الأردنية, 2008.
- مشارب الرهبة (منازل الوجد, حرائق الروح, جمرة الذاكرة)- سيرة إبداعية, دار البيروني –الأردن, 2009.
- ماء الغواية, دار البيروني, الأردن, 2013.

إضاءة (3): الدراسات والبحوث التي كتبت في شعر نادر هدى.

كُتبت في الشاعر نادر هدى الكثير من الدراسات والبحوث النقدية والمقالات التي تبرز مسيرته الإبداعية, وتتناول شعره بالنقد والتحليل من جوانبه كلها الأسلوبية والفنية واتجاهاته الموضوعية...وما إلى ذلك.

كذلك عُقدت معه الحوارات واللقاءات التي تسلط الضوء على حركته الأدبية والشعرية وأثرها في الأردن والوطن العربي. وقد ضمت زوجه السيدة أروى القاضي هذه الحوارات واللقاءات في كتاب مستقل وسمته بـ: (حوارات نادر هدى – الرؤية والإبداع -), وصدر عن دار المتنبي في الأردن, سنة 2007, في أكثر من 200 صحيفة من القطع الكبير.

وأما عن الدراسات والأبحاث في شعر نادر هدى, فقد ألفت فيه الكتب السمينة القيمة, وخرجت عن أشهر الدارسين والباحثين في الوطن العربي.

ونالت شهرة واسعة, أدبية وعلمية. لعلّ من أهمها كتاب الأستاذ الدكتور اللغوي والمحقق العلامة هادي نهر الموسوم بـ:(المضامين الإنسانية والتشكيلات اللغوية في شعر نادر هدى), والصادر عن عالم الكتب الحديث في أربد –الأردن, لسنة 2013, في 328 صحيفة من القطع الكبير.

تناول فيه المؤلف المضامين الإنسانية, والبنى الإيقاعية والصوتية واللغوية والدلالية في شعر نادر هدى.

كما حفيت تجربته الإبداعية في الشعر والنثر بالكثير من العنوانات النقدية والفكرية التي حُبست على دراسة منجزه الإبداعي, ومنها:

- الحداثة الشعرية وفاعلية الكتابة: د.حفناوي بعلي, من الجزائر, دار المتنبي – أربد, الأردن, ط1, 2007م.
- سيرة النص, منارات ومحطات في سيرة ومسيرة نادر هدى الشعرية: د. ابتسام مرهون الصفار, من العراق, عالم الكتب الحديث – أربد, الأردن, ط1, 2013.
- البحر وأعاليه, الشاعر نادر هدى بعيون مغاربية, وهو جمع لأشهر البحوث التي كتبت عن الشاعر من بلاد المغرب العربي. وقد أعدّ هذا الكتاب وقدّم له الأستاذ الدكتور هادي نهر, ونُشر عن دار البيروني في الأردن, بطبعته الأولى, 2013.
- النهر وسواقيه, الشاعر نادر هدى بعيون مشرقية, وهو جمع لأشهر البحوث والدراسات التي كتبت عن الشاعر من بلاد المشرق العربي. وقد أعدّت هذا الكتاب وقدّمت له الأستاذة الدكتورة ابتسام مرهون الصفار, وسيصدر قريباً إن شاء الله.
- الخطاب الشعري, تشكلات الأنا والآخر في تجربة نادر هدى الإبداعية, الدكتور طلال طاهر القطبي, من السودان, قيد الإصدار.
- الصوت القادم من الشمال, دراسات نقدية في شعر نادر هدى, د.محمد عويد الساير, من العراق, قيد الانجاز.
- النص الإبداعي, بين السيري والمتخيل الشعري, الأستاذ نضال قاسم, من الأردن, قيد الانجاز.

وسأختار نماذج من قصائد نادر هدى في المكان المخصص له من هذه الصحيفة, وأحب أن أعلم الجميع أن الشاعر بحاجة لمزيد من الدراسات والأبحاث التي تتناول تجربته في الشعر والنظم. وأنا مستعد لوضع دواوينه ومجموعاته بين يدي هذا الدارس أو ذاك الناقد خدمة له للأدب العربي, وعرفاناً بفضل المجيد اللبيب من شعرائه.

كما أتمنى من طلبة الدراسات العليا في الأدب العربي الحديث ان يهتموا بهذا الشاعر من بين من يهتمون به من الشعراء الآخرين من شعراء قصائد النثر, فهو يستحق منا ومنهم الكثير....

مختارات من شعر نادر هدى, (العراق في شعر نادر هدى).

عناقُ المجد.

أنا نخلةٌ عانقت مجدها...

فهابت كنوز المهابةِ

روَّت بحارَ الشقائقِ
أينع فجر الخيال برمضائها...
وعمرها الهدبُ
/
... إن الزمان أساطير بعثٍ
لأمجادها...
وقوفاً إلى المجد هذا البهاء المُعنّى
نشاطرُهُ النبض تبراً
وعذباً مسمَّى
فآشور قلبي
وبابل
بصدر الزمان فراتاً تجلَّى
عراقاً لرحمِ المراحلِ
والهدّب غنّى
ويكبر فيَّ نخيل العراق
ويورقُ شهداً
يصارعُ عشقي
ويملأ فجري
هو الصوت آتٍ
فيا أيها القلب, بارك خطاك
ولتكنْ
راية في غنائك
؛ ثورةً في غناك
/
هو الصوت آتٍ
فعطر بها المهابة
آنس رباك

وجسراً تمدد بين الوريد, وبين الملاك
هو الصوت آتٍ
فيا أيها الموت زلزل عداك
وهيئ آياقين فجر النداء
فارساً في علاك
/
هو الصوت آتٍ
من ديوانه:مزامير الريح:ص 165-168.
فضة وفضاء.
عراق
وتسرح فيَّ الخيولُ
وبلورها فضة وفضاء
عراق
لبدء الحروف, وفجر الجروح
لأيقونة القلب
ساريةٌ ونداء
أنا النبض فيك
... ع
ر
ا
ق
وصدر التراب منارات صمت
تعمَّد بحر الدماء عراق...
من ديوانه مزامير الريح: ص 177 – 178.

حسن يحيى الخفاجي... حياته, آثاره, شعره

ولد الأستاذ والناقد والشاعر والباحث والأديب الدكتور حسن يحيى محمد رضا الخفاجي في محافظة ديالى شرقي العراق في سنة 1396 هـ - 1950.

وفيها تلقى تعليمه الأول ما بين سنتي 1956- 1962, ومن ثمَّ أتمَّ تعليمه للمتوسطة في ثانوية بعقوبة للبنين 1962 – 1965, ومنها إلى مرحلة الإعدادية في الثانوية نفسها 1965 1967.

التحق بكلية الآداب في جامعة بغداد, في قسم اللغة العربية, وتخرج منها حاملاً شهادة البكالوريوس للعام الدراسي 1970- 1971.

أما دراسته العليا فأكملها في جامعة السوربون في فرنسا, فنال منها الماجستير والدكتوراه, للأعوام الدراسية 1982 – 1986. وكانت رسالته للماجستير تحت عنوان: (أثر البيئة البصرية في حياة الجاحظ وآثاره).

وكانت أطروحته للدكتوراه تحت عنوان: (أثر الفكر الفلسفي ألمعتزلي في نثر الجاحظ).

في أعماله الوظيفية, عمل الدكتور حسن يحيى الخفاجي في التدريس في ثانويات ديالى المختلفة, ومن ثمَّ في جامعة صلاح الدين, وجامعة الانبار, وأخيراً في قسم اللغة العربية, كلية الآداب في الجامعة المستنصرية, إذ انتخب عميداً لهذه الكلية الكبيرة إلى أن توفي في سنة 1425هـ– 2004م.

درّس الأستاذ الدكتور حسن يحيى محمد رضا الخفاجي, مفردات دراسية كثيرة في مرحلتي الدراسات الأولية, والدراسات العليا, في الكليات والجامعات التي ذكرتها فضلاً عن الجامعات التي عمل فيها أستاذاً زائراً أو على سبيل إلقاء المحاضرات. وكانت محاضراته من المتعة للجميع, إذ يمتاز أسلوبه بالهدوء, وتغطية المادة الدراسية ومفرداتها, فضلا عن إلقائه الشعر في الوقت المناسب, والمكان المناسب من الدرس والمادة.

وحصل على لقب أستاذ في الأدب العباسي والنقد والبلاغة بجدارة تامة, وبشهادة الجميع من أهل العلم والأدب والتخصص.

اشرف وناقش الدكتور الخفاجي على عشرات الرسائل والاطاريح في الأدب العربي والبلاغة والنقد الأدبي, ونالت أفضل الدرجات العلمية وأعلاها.

أما آثار الدكتور حسن الخفاجي, فقد ترك الباحث والمؤلف الخفاجي آثاراً جيدة تستحق الثناء والإعجاب. ومن أهم هذه الآثار كتابه (البلاغة العربية... عرض وتطبيقات), وهو كتاب تعليمي مقرر على الدراسات الأولية لمادة البلاغة العربية في أقسام اللغة العربية في كليات التربية والآداب. وهو كتاب فيه من الشواهد, والأمثلة,

والتطبيقات الشيء الكثير والمتنوع الذي يراعي الطالب الجامعي في هذه المراحل, وتستوفي المادة العلمية ومفرداتها.

ومن آثاره الأخرى المهمة والتي لا تزال مخطوطاً إلى الآن تنتظر النشر والإشهار إلى الآخر, كتابه المترجم (الجاحظ والرواة) وهو مترجم عن الفرنسية, وكتابه (الفضل جارية المتوكل – حياتها وشعرها), وهو لدى دار الشؤون الثقافية العامة في بغداد, في أمل أن يصدر ويراها الناس.

ومن بحوثه المهمة المنشورة والتي نالت شهرة وتداولا واسعين, بحثه (البناء التركيبي في مقطعات الطغرائي ونتفه الشعرية), وبحثه (الاستدراك - دراسة بلاغية مقارنة -), وبحثه (البناء الفني في شعر أمية بن أبي الصلت الداني), وبحثه (ملامح من مخيلة الشاعر العراقي الحديث... التشبيه أنموذجاً), وبحثه (أثر التشبيه الضمني في صور أبن سعيد المغربي الأندلسي), وبحثه (الفرق بين عطف البيان والبدل)... وغيرها.

في بحوثه يمهد الباحث والكاتب الدكتور حسن الخفاجي بدراسة نظرية قد تطول بعض الشيء, بحثاً ونقاشاً, وبحسب عنوان الخطة الأولية المقترحة لكل بحث وعمل من بحوثه وأعماله. وفي بحوثه ودراساته وكتبه ينظر الدكتور حسن يحيى الخفاجي إلى الكثير من المظان التي تفيد بحثه أو ودراسته أوكتبه. وفي بحوثه الأمانة العلمية, والأسلوب العالي الذي أتمنى من كل باحث أن يقرأ له, ويعرف ما في هذا الأسلوب من بلاغة عالية, وحنكة بحثية متمرسة, وتحليل رائع للنصوص الشعرية المحللة, لهذا الشاعر أو ذاك من مختلف العصور والأمكنة.

وعن شعر الأستاذ الجامعي والناقد والباحث والكاتب الدكتور حسن يحيى الخفاجي, فشعره يمثل المعانة الحقيقية للإنسان العراقي في أصعب الظروف وأقساها من ناحية العيش والمال والتحصيل العلمي, فضلاً عن قسوة الظروف التي عاش فيها ولا سيما وهو بعيد عن مدينته بغداد, بعيد عن عائلته وذويه فيها. فقد كان أيام عمله في جامعة الانبار يأتي من بغداد ويعود إليها يومياً في قطار وصف رحلته القاسية الظالمة في إحدى قصائده التي ألقاها يوماً أمامنا وللأسف ضاعت مني ومن زملائي, وكم كانت معبرة, وصادقة لما يعانيه, ولما يعيش فيه.

ويمتاز شعره بكثرة الصور الفنية, البيانية والحسية وغيرها, كما يمتاز أيضاً بدقة الألفاظ والتراكيب, وحسن استخدام العروض من الأوزان التقليدية, أو من شعر التفعيلة, وكيف لا يكون كذلك وهو الناقد والبلاغي الفصيح, والباحث في الأدب والبلاغة والعروض الذي لا يشق له غبار, ولا يدانيه أستاذ في عمله وتألقه وتميزه.

رحم الله أستاذنا الجليل أبا آيات, لقد كان نعم الأستاذ والمربي, المتفضل عليّ وعلى الآخرين في كل شيء, ويسَّر لنا طرق السلامة لنكون مثله في الطلب والعلم والبحث والتدريس.

ووفق الله وأعان على من يعمل على نشر تراثه في التأليف والبحث والشعر. إنه تراث عراقي أصيل صدر عن أستاذ ومفكر عراقي أصيل, يستحق منا كل الخير والوفاء والمعروف.

وقبل أن أودعكم اقتطف أنموذجين بسيطين من شعره للتعريف والقراءة والشاهد, وإلى لقاء.....

يقول الشاعر حسن يحيى الخفاجي من قصيدته (الزاد والحياة):

لمن أشكو ومن يشفي بدائي ومقتدر على رد البلاءِ؟

أنا الإنسان باني كل مجدٍ أ أجزى بعد جهد بالفناءِ؟

وادمي مثل ما ترمى نواة مسجىً والثرى يغدو غطائي

أنا بالأمس مرتفع كطودِ أناطح للسما بذرّا الإباءِ

وحيد ها هنا لا صحب عندي ولا من عادني من أصدقائي

أنا بالأمس ممتدح حديثي له اطرّوا وزادوا بالثناءِ

تراني اليوم في صمت رهيب وما أقساه من صمت لنائي!

أنا من كنت عند الصحب دوماً أثيراً ذا جلالٍ في الحياءِ

يجيء لربعنا من كنت أخشى بلا أذنٍ وافني في انتقائي

أنا بالأمس إنْ نظرت عيوني لروضٍ زاد شوقاً باللقاءِ

ويقول أيضاً من قصيدته (توسلات مشروعة جداً):

أيها الراصدُ
منذ البدءِ
أنفاسي
وأيان انحرافي
سيكون
خلجات النسغ المنحطّ
في فكري

حناياي
نواياي
أساليبي العميقهْ
اللواتي ثقلت منهن أكنافي
السقيمهْ
أنا أحببتك عند اللحظة الأولى
و أسلسلت لكفيك قيادي
كي أرى النور
علامهْ
كي يطالع
وجهي المغبر
فجر الاستقامهْ
ويتابع
أنت شاهولي
إذا ما شئت أن أمنح نفسي من جديدْ
فرصة كي أبني الروح على نحو متينٍ
وعتيد
.....
.....
.....
.....
.....

المكان في شعر عدي أحمد ألحديثي

عدي بن احمد بن محمد بن مصطفى ألعبيدي ألحديثي هو الشاعر والمدرس الذي ولد في مدينة الحديثة في أعالي الفرات بالانبار في العراق في سنة 1943, وتخرج من مدارسها, ومن كلية العلوم الإسلامية في جامعة بغداد, حاملا شهادة البكالوريوس. ومارس الوظائف التربوي والتدريسية والتعليمية المختلفة في مدن ومحافظات العراق الكثيرة إلى أن أصبح مسؤول وحدة الإشراف الاختصاصي في مدينته الحديثة مذ سنة 1997, والى يومنا هذا.

نظم الشاعر عدي احمد محمد الشعر منذ كان طالباً في مرحلة الإعدادية, ونمت هذه الموهبة الأدبية إلى أن وصلت إلى إصدار الديوان الأول, ومازال ينظم الشعر في المناسبات المختلفة التي تمر على بلده العراق وعلى العالم العربي والإسلامي. ومازال نظمه يعجب الآخرين في حسن السبك, وجودة اللغة, ولطافة الصورة, ودقة الأخذ من التراث الأدبي, والديني, والتاريخي.

قرأت ديوانه الذي صدر في سنة 1913, وكان بعنوان: (سفن لا تعرف المرافئ), فرأيت أن المكان كان من بين الظواهر المهمة والأصيلة التي جاءت في شعر الشاعر, فأحببت أن اخصه بهذه السطور, فكان هذا الذي ترى أيها القارئ اللبيب.

المكان والعنوان..... كان عنوان القصائد مرتبطة روحياً ومنطقياً مع اغلب ظواهر المكان ومسمياته العدة. ولعل المتلقي الحاذق يفهم معي أن السفن والمرافئ التي جاءت في عنوان الديوان الرئيس هي من الأمكنة, صحيح أنها مختلفة في الدلالة والتشكيل إلا إنها أمكنة. كما انه جاءت بصيغة الجمع, وهذه دلالة على الكثير من السفن المبحرة في مرافئ الحياة التي لا تتوقف, ولا تفتر! إذ كانت أغلب هذه المرافئ مدن العراق التي حلَّ فيها الشاعر أو أقام بها, أو مارس بها وظيفته, أو ألقى بها قصائده, معجباً, أو شاكيا, أو باكياً, أو مادحاً, أو راثياً مكاناً أو شخصاً أو أمة.

وخذ على سبيل المثال عنوانات القصائد الآتية:

- ورد وشوك.
- غزل عراقي.
- الرحيل.
- زيارة لـ (علي الغربي).
- أبطال الحجارة.
- بنت العراق.
- الجندي العراقي.

- الطير المهاجر.
- خواطر الغربة.
- خلجات من وحي الزبداني.
- الرحيل المر.

فهذه العنوانات كلها دلَّت على مرافئ الشاعر الكثيرة, ودلَّت أيضاً على تجسيد المكان بأنواعه في قصائده ومن العنوان. ونلحظ أن العنوانات جاءت بكلمة وحيدة, أو بالجمل الاسمية التي تدل على الثبوت والاستقرار, ومن هنا أظن أن الشاعر كان موفقاً كثيراً في اختيار هذه العنوانات لقصائده, وارتبطت ارتباطاً مشيمياً مع المكان, تركيباً, واستظهاراً, ودلالة.

المكان الذكرى (دلالة الحزن)..... هذا النوع من الأمكنة يثير لدى القارئ ظواهر الحزن ومسمياته المختلفة. إنه المكان الذي نبكي عليه, ونحنُّ لرؤيته والاجتماع فيه, ولا سيما وهو يذكرنا بشخص, أو بحادثة, أو قصة.... وهذه الذكرى أراها تعصف بالشاعر فيصب جام غضبه على الغربة, والجراح التي تنزف منها كل حين ووقت. فهو يستنطق نونية ابن زيدون الخالدة, وهي هي في الأحزان والناي والشكوى, ليقول لنا:

ويا غريباً بأرض الله كن جلداً فالصبر نبلوه طوراً ثم يبلونا

ليس الغريب غريب الدار في وطنٍ له الجميع إذا نادى ملبونا

إن الغريب الذي شذت طبائعه وصار في الناس محقوراً ومطعونا

وتتحول هذه الذكرى إلى معاناة حقيقية يجسدها المنظر, وتبكي عليه العيون وهي تمر بثانوية علي الغربي الذي أقام فيها الشاعر ومارس فيها وظيفته الشريفة. ولكنها ليست كما كانت على ما يبدو بعد تلك السنوات التي مرّت بالشاعر وبلده ولاسيما بعيد عام 1990, لنستمع إليه وهو ينشد لنا:

أمر بالعرصات الخضر اسألها عن الذين غدوا منها وما رجعوا

عن الذين أقاموا في مرابعها معابداً وطقوساً حيثما اجتمعوا

وينادي أولئك الفتية الذين تتلمذوا على يديه, وقد صانوا الأمانة وحملوا شعار الوفاء لمدرستهم ومن علَّمهم:

كان الوفاء لهم ديناً ومعتقداً وعهدهم في سماء الله مرتفعُ

ما كدّروا خاطراً يوماً ولا عرفوا للغدر دربا وغير البر ما صنعوا

يـا فتيـة فـي علـي الغربـي طلعـتهم مثـل الملائـك حـول العـرش قـد ركعـوا

صـانوا الأمانـة أجيـالاً بـلا كلـلٍ ولـم يـزل للبـذل مسـتمعُ

ومن خلال الاستفهام يطلعنا الشاعر عدي على جملة مشاعر أخرى من خلال المكان, والأحزان التي يهيجها عند صاحبه. فيقول:

أيـن الـذين علـى حيطانـك اتكـأوا وفـي ترابـك أحلـى وردة زرعـوا

وفـوق سـاحك هامـت روحهـم أمـلاً وصـارعوا قسـاوة الأيـام مـا جزعـوا

أيـن الـذين علـت أصـواتهم طربـاً وأشـعلوا الجـو عشـقاً كلمـا اجتمعـوا

أيـن الصـبايا اللـواتي كـنَّ مفخـرة بهـنَّ يسـموا النـدى والنبـل والـورعُ

وفي الديوان ذكريات أخرى, وأمكنة أخرى جديدة تثير فينا مكامن الأحزان, وتحرك مشاعر اليأس, وتبكي غربة الروح والجسم. ولعل قصيدته (الطير المهاجر) المستوحاة من قصيدة أخرى.... تفصح لنا عن جل أحزانه وأتراحه من خلال المكان وذكرياته, وكيف كان, وكيف أمسى.... يقول:

وغمسـت فـي البحـر الأجـاج أصـابعي ورشـفتهن مكـابراً مغـرورا

ورجعـت كـالطير المهـاجر متعبـاً أبكـي زمانـاً كـان قبـل نضـيرا

أبكـي بسـاتيناً زهـت وعنـادلاً مـلأت فضـاءات الزمـان حبـورا

وملاعبـاً فيحـاء تطفـح بالنـدى وجـداولا وسـواقياً وزهـورا

فتشـدني الـذكرى بكـل جـذورها وأظـل فـي سـاحاتها مسـحورا

أما عن بغداد الحبيبة, فكان لها نصيب من هذا الوجع. فالغربة عنها, والحزن الذي يتبع هذه الغربة تثير عند شاعرنا عدي الحديثي المكان الذكرى, والوطن الأم, والمدينة المثال. يقول:

تباركـت يـا بغـداد كبـراً ومنفعـة ورمـزاً بـه بـين الخلائـق نفخـرُ

تباركـت يـا بغـداد يـا عـز أمتـي ويـا قلعـة فـي كـل قلـب تعسـكرُ

حماها الـه النـاس مـن كـل طـاريء وأيـــدها الـــرحمن بـــالحق تجهـــرُ

لتجمـــع أهـــل الـــدار بعـــد تفـــرقٍ ونطـــوي بهـــا شـــم الجبـــال ونعبـــرُ

وفي باقي الديوان والقصائد كم هائل من الأمكنة التي تثير الحزن, وتحكي ذكريات الشاعر التي عاشها في كل مدينة ومحافظة ومدرسة. والشاعر مصور, ومستوح بارع للتراث, ولاسيما الأدبي, ومتقن لمعجمه ولغته الشعرية, إذ كان في اغلب النصوص ذا تجربة صادقة, وحقيقية حاول أن ينقلها إلى متلقيه بكل الوسائل والظواهر اللغوية والبيانية والصوتية, ومظاهر المكان وأنماطه, والزمان وما يوحي, والغرض وما ينطوي عليه... فكان بحق المحسن في هذه وغيرها.

المكان الديني (دلالة التراث)..... إن الأمكنة الدينية التي جاءت في ديوان (سفن لا تعرف المرافئ) للشاعر عدي أحمد محمد, أدّت الدلالة التراثية لهذا المكان إذ فاحت الرائحة التراثية العاطرة التي ترمز إلى التراث العربي الإسلامي الأصيل, وأبانت عن حسن استخدامٍ لنمطٍ مهمٍ من أنماط المكان وآلياته. برع به الشعراء العرب, وتغنوا بأمجاد أمتهم وماضيها التليد البهي. ولعلّ نظرة في قصائد الشاعر الحديثي وتأملاً في أبياته التي ورد فيها هذا النوع من المكان ليكفينا همّنا فيما نريد من هذه الدلالة, ومن عموم دراستنا لشعره.

ففي نصه الشعري (رمضان هلَّ), نلحظ توافد الأمكنة الدينية في أبيات النص الشعري, ولا سيما تلك الأمكنة التي ترتبط بالأجر والثواب للصائم, وما يكون عليه الشهر الفضيل... والدعاء المستحب . وإذا قرأنا بعض أبيات هذا النص الرائع آمل ألا ننسى دلالة التراث المنتشرة هنا وهناك من خلال الأمكنة الدينية. يقول الشاعر عدي:

رمضـــان حـــلَّ فمرحبـــاً بقدومـــه يـــا مـــن تتواصـــل بـــه الأرحـــامُ

فيـــه تســـد جهـــنم أبوابهـــا وعلـــى ممـــرات الجنـــان زحـــامُ

ويبرز المكان الديني بدلالته التراثية الواضحة جدا في نصه الشعري الذي وسم عنوانه بـ: (شهر الكرامات) إذ يقول فيه:

مـن جـامع النـور فـي شـهر الكرامـات شـهر الهـدى والتقـى والموعـد الآتـي

فكـان فـي رمضـان النصـر تدعمـه أحلـى الملائـك مـن أعلـى السـموات

وأما في نصه (أبطال الحجارة), فيتجلى المكان الديني بشكل واضح وكبير في المدينة (القدس), وهذه المدينة تستدعي المجد الباهر لأمة الدين والإسلام, ومن ثم

تستدعي أمكنة أخرى مثل دمشق, وبغداد, وما فعله بنو حمدان وغيرهم في تلك المدن من بطولات ومفاخر تستحق الثناء والإعجاب والمفاخرة. يقول شاعرنا عدي الحديثي:

وأي شـوقٍ لعطـر القـدس فـي دمنـا وأي دمـــعٍ هتـــون دونهـــا انســـكبا

وأن عرســاً قضــت همــاً عروســته وأن نجمـــاً بـــديجور الزمـــانِ خبـــا

وأن لبنـــان قـــد ديســـت كرامتـــه وأن خطبـــاً عظيمـــاً قـــد دهـــا حلبـــا

فتلـك خيـل بنـي حمـدان مصـفدةٌ أدمـــى ســـنابكها الجـــلاد واحتجبـــا

دمشــق كنــت لهــذا الشــعب قبلتــه والمجـــد فـــوق ثـــراكِ المســـتفزجا

يـــا قدســـنا إن نصـــر الله قـــد قربـــاً وإن صـــوتاً رهيبـــاً فـــرق الحجبـــا

وإن أنشـــودة بغـــداد تصـــنعها دوت لـــتملأ أســـماع الـــدنى طربـــا

وفي الخاتمة, يبدي الشاعر عدي الحديثي تفاؤله بالنصر الذي تكرر كثيراً في آخر الأبيات بنشوة الفرح والدعوة إلى المشاركة فيه. هذا النصر الذي سيكون وسيكون كما يقول الشاعر:

إنـــا صـــنعنا لكـــم نصـــراً بيارقـــهُ علـــت فمـــدّت فغطـــى ظلهـــا العربـــا

إنـــا صـــنعنا لكـــم نصـــراً يليـــق بكـــم يـــا أخـــوةً رفعـــوا عـــن وجهنـــا العتبـــا

وشـــاركونا بنصـــر مـــنكم عجـــلٌ فـــالنفس تواقـــةٌ أن تـــدرك الإربـــا

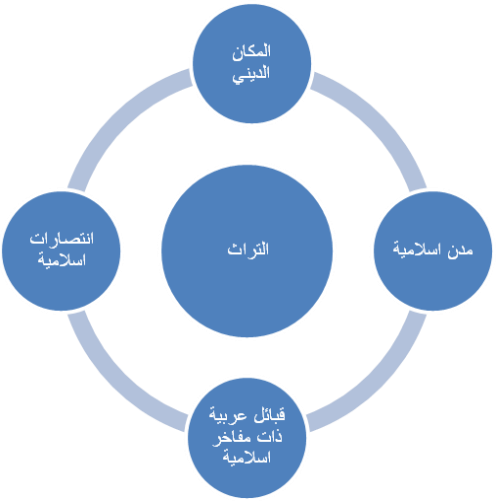

مخطط يوضح العلاقة السرمدية بين الأمكنة الدينية ودلالتها التراثية

المكان الطبيعي (دلالة المعايشة).... انتشرت هذه الأمكنة كثيراً في ديوان الشاعر عدي أحمد الحديثي (سفن لا تعرف المرافئ). فهو أبن الحديثة, تلك المدينة التي تظهر فيها كل مظاهر الطبيعة, وأمكنتها الطبيعية الأليفة و والمعادية, والأمكنة الطبيعية الصناعية. كما تبدو عليها أماكن الترفيه والسياحة, وتظهر عليها الأنهار, وتكسوها الهضاب والوديان والسواحل الخضراء, وتشيع فيها أصوات الطيور من كل مكان وصوب... وقد أحسن الشاعر عدي احمد في توظيف هذه الثيمات المكانية جميعا في شعره. وعرف كيف يسخر دلالتها المعيشية, ويجعلها في خدمة الغرض والموضوع الذي ينظم ويرمي إليه, وينشد من أجله ولأجله...

ولقد جاءت بعض النصوص الشعرية حاملة لهذه الأمكنة ودلالتها من العنوان حتى آخر كلمة فيها, ومن تلك النصوص:

- ورد وشوك.
- سمراء.
- عيون المها.
- تأملات في ليل ممطر.
- إلى نائمة.
- الطيور المهاجرة.

● الريحانة.

ومن هذه الثيمات المكانية الطبيعية التي تمحورت ودلالة المعايشة في شعر الشاعر عدي, قوله من أبيات من نصه الشعري (همس الجراح):

وللفراشات جولات بواحتنا ... وللذئاب عويل في بوادينا

وللربيع إياب بعد عودته ... وأنت تعلم أن الدفء يغرينا

ويقول في القصيدة نفسها:

لنا قطاة بواديكم محيرة ... تروغ حيناً وتبغي وصلنا حينا

يا للقطاة كم غريب قد بكاك أسى ... واليوم عدت لتشجينا فتبكينا

يا طائراً ساءه من دهره نصبٌ ... فأغرق الليل ترتيلاً وتلحينا

ويقول منها أيضاً:

وهل طيور السنونو بعد راجعة ... لنستعيد بها أحلى أمانينا

ستشرق الشمس يوماً فوق حارتنا ... لتجلوا السحب عن أسرار ماضينا

فالطيور هذه دلت على معايشة حقيقية من الشاعر للمكان وما فيه من مؤثرات عرفها وشاهدها, وركز عليها في شعره بعدما كانت مركزة في نظره وعقله وقلبه ومشاعره.

ولو نظرنا إلى معجم الشاعر عدي أحمد محمد الشعري وعملنا مسرداً لأنواع الأمكنة الطبيعية وجرداً لها من حيث الكمية والوفرة, لوجدنا أنها كانت كثيرة كثرة مفرطة. إذ وردت في قصائده المختلفة, وبين أغراضه المتنوعة. وجاءت ألفاظ: النهر, والدوح, والطلل, والريح, والقطاة, والفرات, والجبال, والسماء, والحمام, والساحات... بشكل كبير ومؤثر, ويكاد يكون في قصائد الديوان جميعها, ونصوصه الشعرية كلها. وهذا ما يدل على عشق الشاعر لهذا النوع من المكان, وتميزه في بيئة الشاعر التي يعيش فيها ومن ثم تمثلها في شعره وإبداعه.

وفي صلة مع هذه الأمكنة ودلالاتها نقتطف أبياتا من قصيدته (الرحيل), يقول:

رحلت والأفق نيران جوانبه ... حتى تعذر أن يسعى لها المطرُ

والأرض من فرط ما لاقت مطأطئة ... من كل منعطف يطّاير الشررُ

والـريح تـزأر فـي الأرجـاء غاضـبة والبحـــر مجنونـــة أمواجـــه كـــدرُ

وأنـت ترنـو تجـاه الأفـق مبتهجـاً ومـــا توقعـــت أن المـــوت ينتظـــرُ

ولا ينسى وهو في تحيته ليوم الضاد أن يذكر بعضاً من هذه الثيمات المكانية, ويستثير دلالتها أمام القارئ, في مثل قوله:

يـا سـاكب النـور فـي بحـر مـن الظلـمِ ويـا مـذيب الهـوى فـي الأخـرس القلـمِ

يـــا مـــؤنس البيـــد ركبانـــاً وأنديـــة وفـــي شـــفاه الصـــبايا أعـــذب الـــنغمِ

بـك استنارت عقـول القـوم مـن زمـن فســطروا للــدنى ســيلاً مــن الكلــمِ

وذاع صـــيتك فـــي الآفـــاق مؤتلفـــاً حتـــى ســـقيت تخـــوم الأرض بالـــديمِ

فأنـــتَ كـــالبحر جنـــات شـــواطئه وقاعـــه مســـتقر الخيـــر والـــنعمِ

وأنـتَ كـالريح تسـري فـي مضـاربنا فتنثـــر الخصـــب فـــي بـــذراتنا العقـــمِ

تلكم كانت أهم المحطات المكانية التي وقفنا عليها عند شاعرنا الهمام الشاعر والأستاذ عدي أحمد محمد الحديثي. ولقد كانت هذه الوقفة سعيدة ظافرة – إن شاء الله – أتت أكلها, وبانت ثمارها من بعيد, دلالة, ونوعاً, وكماً, وصناعة, وإبداعاً. ولا تزال في شعر الشاعر كثير من العنوانات التي تستحق الدراسة, كالتناص في شعر الشاعر عدي أحمد الحديثي, ولاسيما التناص الأدبي وتأثره بكبار شعراء العربية من مثل: المتنبي, وابن زيدون الأندلسي, ونزار قباني. والصورة الفنية في شعر الشاعر عدي احمد محمد الحديثي – ديوانه سفن لا تعرف المرافئ... أنموذجاً –, ولاسيما الصورة البيانية, والصور اللونية, والصور الحسية, إذ وضحت وكثرت في شعر أيما كثرة ووضوحاً..... وما إلى ذلك من الدراسات والأبحاث التي تهتم بالنص الشعري الحديث والمعاصر, وتضعه على مائدة التشريح والنقد الفني والموضوعي والتحليلي والتقويمي. ولعلّ في العمر بقية فنعالج مثل الدراسات في شعر الشاعر عدي, أو عند باقي شعراء الحديثة, ما سمح لنا شعرهم, وما استحق منه, دراسة وبحثاً وحفظاً وإنشاداً.

من سمات الكتاب المنهجي الناجح

الحقيقة فكرت في تأليف وصناعة بعضاً من الكتب المنهجية التي تخصّ المفردات الدراسية في كليتنا المستحدثة, كلية التربية الأساسية / الحديثة, إحدى كليات جامعة الانبار في العراق؛ لكون الكلية وأقسامها العلمية مستحدثة وجديدة في عموم جامعات قطرنا الغالي, ولتخصصنا الدقيق لبعض مفرداتها الدراسية, وحاجتنا إلى التأليف لهذه الكتب لتكون في متناول يد الطالب وأمام عينيه.

ومن هنا أفاجأ بتأليف بعض الأساتذة الكبار من أصحاب الشأن في العلم, وذوي الفضل في التأليف والتحقيق والبحث بتأليف بعض مناهج قسم اللغة العربية في كليات التربية الأساسية في العراق, في الأدب, واللغة, والمصادر التي تبحث فيهما. وسارعت إلى الحصول على هاتيك المناهج المؤلفة لضمها إلى دواليب مجانية التعليم في كليتنا, والباقي إلى رفوف مكتبتنا الفقيرة جداً بالكتب والمطبوعات والإصدارات؟! والأخير إلى رفوف مكتبتي الشخصية وهي موشحة بأجمل عبارات وكلمات الإهداء والمحبة والثناء.

وبين فكرتي في تأليف ما تبقى من الكتب المنهجية التي تعنى بالأدب وأقسامه في قسم اللغة العربية في الكلية المذكورة, لحاجتنا لها, ولعلمي المتواضع أن أحداً من الباحثين والمؤلفين الفضلاء لم يؤلف فيها إلى الآن..., وحثّ الأساتذة والزملاء في القسم المعني على التأليف في المفردات الأخرى كلاً بحسب تخصصه وبحسب حاجتنا له, وبين إطلاعي على الكتب المنهجية المؤلفة والمطبوعة والمنشورة التي وصلت إليّ, وجدتني اصنع نقداً وتعليقاً لهذا الكتاب أو ذاك, على هذا التأليف أو غيره... مما سيبين في الفقر الآتية من خلال تعريفنا بسمات الكتاب المنهجي الناجح.

في البدء, إن التأليف في الكتب المنهجية ليس كباقي التآليف المعروفة الثقافية والفكرية والعلمية. إذ يجب أن يكون التأليف في الكتاب المنهجي من قبل أستاذ متخصص في المادة الدراسية التي يؤلف فيها, وأن يكون صاحب لقب علمي, أو لديه مؤلفات أخرى منشورة معروفة مشهورة متداولة.

ومن سمات الكتاب المنهجي الناجح أنه يغطي المفردات الدراسية للمادة المفروضة على الطالب الجامعي في كل مستوى من المستويات الدراسية في الكلية. وأن يعمل المؤلف على الربط بين ما درسه الطالب في المستوى السابق, وبين ما يدرسه في مستواه, وبين ما سيدرسه في المستوى الدراسي القادم, الربط العلمي والفكري والبحثي الدقيق والمشوق.

ولا بأس أن يكون الكتاب المنهجي ذا أسئلة وأجوبة أنموذجية مع نهاية كل موضوع من موضوعات المادة الدراسية التي يكتب عنها, ويؤلف في علمها. وأن يكون الكتاب مفعماً بآراء الباحثين والدارسين واسامي كتبهم ومؤلفاتهم, وأن يكون ذا تمهيد عن المصادر القيمة والأصيلة التي يجب أن يعود إليها الطالب, ويكتب عنها وعن مصنفيها, وهو يدرس هذه المادة التي تقوم على هذه المصادر, وجهود أولئك المصنفين.

ومن سمات الكتاب المنهجي الناجح كثرة الشواهد والأمثلة المساقة مع كل موضوع من موضوعاته. وكثرتها النوعية والنماذج التي تساق من العصر المعيش للمؤلف وتوازن مع من سبقها بحيلة الباحث الشجاع في النقد والتحليل والتقويم.

ونتمنى ألا يكون الكتاب المنهجي المؤلف كبير الحجم, واسع الآراء, مثقلاً بالهوامش, والمصادر ومعلوماتها المنهجية والطباعية, لإنها ستصدّ الطلبة عن الكتاب, وتجعلهم في حاجز عنه أكثر من الحواجز التي نسمع عنها اليوم بين الطالب وبين الكتاب, وأن يكون حجمه معقولاً شافياً وافياً كما هو مفروض في المنهج من موضوعات ومفردات, وأن يكون خالياً قدر الإمكان من الأخطاء الطباعية التي قد تشوه النصوص ولاسيما النصوص الشعرية والنثرية التراثية القديمة, وأن يكون ذا حُلة قشيبة ولطيفة تشجع على القراءة والمتابعة والاعتناء.ولا ننسى أن يكون الكتاب المنهجي المؤلف مراعياً الدقة والأمانة العلمية التي تناساها الكثيرون وهم يقبلون على تأليف مثل هذه الكتب والتصانيف في المكتبة العراقية والعربية, متذرعين بحجتهم الباطلة بأنها كتب منهجية ليس إلا.....!!!

دار ثقافة الأطفال في العراق... وأثرها التربوي والتعليمي

لـي مـع هـذه الـدار ذكريـات حنينـة, ومـاضٍ تليـد. كيـف لا وهـي تـذكرني بتلـك المجلات والإصدارات الجميلة الملونة الزاهية التي أتابع فيه رسوم ضياء الحجار, وعماد علي.... وغيرهم. والقصص والحكايات الخرافية, والسيناريوهات, والأمثال, وسير الأبطال, والأبواب العلمية, ومساهمات الأصدقاء, والصحيفة الرياضية. وقل عن ذلك عن مجلة " مجلتي ", ومجلة " المزمار ".

كما أنها تذكرني بالحكايات والقصص العالمية التي كانت تصدر في كتب صغير, وقصص الخيال العلمي, ولكم كانت كبيرة ومهمة.. وهي تربي الجيل بعد الجيل, وتبني ثقافة الشاب, وتنير عقولهم, وتجعلهم أكثر فكراً وعلماً وقدرة على المناقشة العلمية والفكرية المطلوبة.

وكانت هذه المجلات والإصدارات تصل إلينا في كل مكان في العراق, وكنت أتواصل معها عدداً بعدد بالمراسلة البسيطة البدائية الأمينة الهادفة مع هذه المجلات ولاسيما مع " مجلتي " التي نشرت لي بعض المساهمات في صحيفة الأصدقاء, فسعدت بها السعادة الكبيرة وما زلت احتفظ بها إلى يومنا هذا.

وقد كانت هذه الإصدارات مهمة للدارسين والباحثين, ومادة دسمة وغنية لدراساتهم وأبحاثهم في عموم العراق. وتناولت دراستهم وأبحاثهم نتاجات دار ثقافة الأطفال من النواحي الأدبية والفكرية والعلمية والسردية والتشكيلية, بل وحتى المنهجية والطباعية.

فكتب أحدهم عن الرسوم وأثرها في قصص الأطفال, وكتب آخر عن الخيال وأهميته في أدب الطفل, وكتب غيره عن الخيال العلمي وبنائه السردي والقصصي وما فيه من سمات أدبية مبتكرة. وكتب الناقد والباحث ياسين النصير عن: (المكان في قصص الأطفال), وطبعاً كانت قصص الأطفال التي صدرت عن دار ثقافة الأطفال المهاد الفكري والتطبيقي لهذه الدراسة وفصولها.

وأتمنى من الباحثين والدارسين الجامعيين أن يخصوا هذه الدار وإصداراتها القيمة بالمزيد من الدراسات والأبحاث, ولاسيما تلك الإصدارات والنتاجات التي صدرت في الحقب الأخيرة, وبعد تطور الدراسات الأدبية والنقدية والمسرحية والتشكيلية في بلدنا التطور الملموس والمشهود والمعترف به من قبل الجميع, فضلاً عن الانفتاح الواسع في الطباعة والإشهار وكثرة المطابع ودورها في العراق في كل

مكان وناحية, فهذه الدار ونتاجاتها مفخرة لكل من قرأ عنها, وأصدر فيها, أو كتب عنها, كما إنها على أرض العراق إذ ندرت في باقي الدول العربية, والدول الأخيرة التي استحدثت فيها استحدثت بعد التجربة العراقية الرائدة والمتألقة في هذا المجال.

واليوم أرى أن تلك الدار لم تعد كالسابق في النشر والتداول وإصدار المطبوع إلى كل طفل عراقي, ولا أدري ما السبب في ذلك, هل هو عزوف كل عراقي عن الكتاب والمطبوع, والجري المخادع وراء الفيس والميس! وألنت والبنت! أم إنه التوزيع... الذي يحرم الكثيرين من المتابعة والرغبة في القراءة والامتلاك والمراسلة والمشاركة؟! أم هي الظروف الصعبة التي تحيط بالبلاد وتدع الإنسان والطفل في شغل وبحث عن الطماطة والبيض بدلاً عن الكتاب والمجلة والقصة... لا أدري؟!

إني كلما رأيت مجلاتي وذكرياتي معها, ورأيت الأطفال في الشارقة أو دبي أو أسلامبول, كلما أوجعتني تلك الذكريات وتركتني في ألم وحسرة جديدتين مع الآم وحسرات أخر تضاف إلى تضاف رصيد العراقي المملوء دائماً ببطاقات الرصيد الفخم والكبير من الجراح والقلق والحزن.

فإلى دار ثقافة الأطفال إن طفلنا بحاجة إليكِ, وثقافتنا بحاجة إليكِ, وبلدنا بحاجة إليكِ, ومدارسنا بحاجة إليكِ, ورياض أطفالنا بحاجة إليكِ, وبيوتاتنا الثقافية بحاجة إليكِ, وكليتنا ومعاهدنا بحاجة إليكِ, فأنتِ الفانوس المضيء لهذه الدور والمؤسسات التربوية والثقافية والعلمية كلها, فلا تقفي خلف قضبان الظروف مهما كانت, وكيفما كانت, ولا توقفكِ عجلة الزمن المقلوب الذي نعيش فيه, بل اتصلي وصلي إلى مناطقنا كلها, وحلّي ضيفة على بيوتنا ومكتباتنا وعقول أطفالنا وقلوبهم. برسومكِ التي ترسم وحدة البلاد, وتحكي آثاره وحضارته العريقة المجيدة الضاربة أصالة وتألقاً في الزمان والمكان. وبقصصكِ تعاد البسمة إلى شفاه أطفالنا وذويهم, وبحكمكِ وأشعاركِ ما يرسم المستقبل ولو كان بسيطاً صغيراً إلا إن فيه من التفاؤل والأمل الشيء الكبير والكثير.....

ناظم رشيد

أينما ذُكرت الدولة الأيوبية في الأدب, في التاريخ, في الحضارة... ذُكر معها. وأينما مرّ اسم الأدب العربي في العصر الوسيط, أو ما يُعرف خطأً بالعصور المتأخرة

أو المظلمة, مرّ اسمه الكبير المتألق في خدمة هذا الأدب في الدراسة والبحث والتأليف والتحقيق. ذلكم هو الأستاذ الكبير الدكتور ناظم رشيد شيخو, أستاذ الأدب العربي في العصر الوسيط في العراق.

يمتاز الدكتور ناظم رشيد بالخُلق العالي, والتواضع الجمّ, والعلمية الأمينة, والقراءة الثاقبة لكلّ مايهتمّ بالأدب العربي وتاريخه ولاسيما في العصور الوسيطة, وهو لايتحدث في معلومة أو شيء إلا وهو متأكد تمام التأكد من هذه المعلومة وصحّتها ودقّتها, وأمانة من ينقل عنه, أو ماينقله. يقول فيه وفي علمه وشخصيته الأستاذ المرحوم هلال ناجي - شيخ التحقيق العراقي والعربي -:

((كان مثالاً للتواضع والدقة في جمع المعلومة عن الموضوع الذي يكتب فيه أو يفكر في الكتابة عنه. وفي التحقيق يجمع النسخ ويوثّق الهوامش, ويتحدث عن اسم صاحب المخطوط ونسبة الأخير إلى صاحبه, ويعمل التخريجات المطلوبة, والفهارس اللازمة, ويصدر العمل المحقق بعد أن يعمل له دراسة وافية وواسعة عن حياة المؤلف والكتاب وأهميته الأدبية والفكرية والسياسية والاجتماعية)).

ويقول فيه أستاذنا الأستاذ الدكتور عبد الهادي خضير نيشان - أستاذ البلاغة والنقد في كلية التربية للبنات في جامعة بغداد -:

((إنه المتمكن في العلم والفكر والأدب, وهو المتمكن الأمكن في اللغة والنحو من الكلام والتراكيب ودلالات الألفاظ وحسن استخدامها... علماً إنه مختصٌ بالأدب العربي في عصره الوسيط, وهو بذلك ينافس أهل اللغة والمختصين بها والباحثين فيها)).

في شخصيته العلمية يوسع الدكتور ناظم رشيد في الحديث عن موضوعه وعنوان بحثه ومقاله من الجوانب التاريخية والاجتماعية اتساعاً مفرطاً. فلا يكاد يترك شاردة ولا واردة إلا وتحدث عنها وسخّر هذا الحديث لخدمة موضوعه وعنوانه الذي يكتب فيه. وهذه المعلومات التاريخية والاجتماعية مهمة للقارئ والمتلقي في الأدب والتاريخ, وإن كانت هذه المنهجية اصبحت قديمة هذه الأيام ولا توافق من أهل الأدب والشعر الذين اصبحوا يهتمون بالنص الشعري والدراسة النصيّة فقط, وحتى بعيداً عن صاحبه وقائله!

ومثل هذه الشخصية البحثيّة الملتزمة تراها في بحوث وأعمال الدكتور ناظم رشيد عن الأسرة الأيوبية وحياتها الأدبية والفكرية, والتي كان قد درسها وبحث فيها ونشرها في حياته العلمية من مثل:

الأدب عند بني أيوب, جهاد صلاح الدين الأيوبي, التاريخ والشعر, شعر الحرب في عصر بني أيوب, القدس في شعر القرن السادس للهجرة, المجالس الأدبية في عصر صلاح الدين الأيوبي, النشاط العلمي والأدبي في عصر الأسرة الأيوبية.

وأما في التحقيق, فقد ذكرتُ آنفاً رأي الأستاذ هلال ناجي عن أعمال الدكتور ناظم رشيد المحققة, فهو يختار جيداً النسخ الخطية ويبحث فيها وفي من يجعلها أماً

لباقي النسخ, ويتأكد مليّاً في نسبتها الحقيقية إلى صاحبها ومصنفها, أو في نسبة الديوان إلى قائله وناظمه, ومن ثمَّ يهتمُّ بقراءة المخطوط ويصححه من أخطائه, ويداويه من أمراضه وعيوبه, ويقوّم أوزانه الشعرية, ويدقق عروضها وضربها وحشوها مع كلِّ بيت شعري, ومنها يخرَّج الوقائع والأحداث والأماكن, ويترجم للشخصيات والأعلام, ويضع دراسة موضوعية وفنية وتاريخية وأدبية عن الشاعر صاحب الديوان المحقق, أو عن النصوص الشعرية داخل المخطوط, ونسبتها إلى أصاحبها وقائليها, وما فيها من ميزات في التاريخ والاجتماع بحسب عصر المصنّف وما حدث فيه من وقائع وأحداث. ومن مثل هذه العناوين التي حققها المحقق الدكتور ناظم رشيد:

ديوان داود بن عيسى الأيوبي - حياته وأدبه -, ديوان الملك الأمجد, ديوان أبن الظهير الأربلي, ديوان عماد الأصفهاني, شفاء القلوب في مناقب بني أيوب, نزهة الملوك في أخبار المالك والمملوك في طبقات الشعراء, ديوان صدر الدين الوكيل, ديوان مُجيرالدين بن تميم.

ولقد برع الدكتور ناظم رشيد, وبشهادة الجميع من مؤلفين ودارسين وباحثين ومحققين في الأدب العربي, بتأليف الكتب المنهجية لدارسي هذا الأدب ومدرسيه. إذ ألّف كتاباً منهجياً لأدب العصور المتأخرة, وكتاباً منهجياً لأدب العصور الوسيطة, وكتاباً منهجياً لأدب العصور العباسية. وفي هذي الكتب المنهجية كلِّها, كان الدكتور المؤلف يضع دراسة تاريخية وسياسية وأقتصادية وفكرية شاملة للعصر الذي يؤلف فيه. ومن ثمَّ يتحدث عن أثر هذه المسميات جميعاً في شعر ذاك العصر وشعرائه والفنون التي أُنتجت في هذا العصر من قبل أولئك الشعراء. بعدها يوسع في الحديث عن الأغراض والمضامين الشعرية التي عُرفت في ذاك العصر, والفنون الشعرية المستحدثة التي ظهرت في ذلك العصر, ومنها يختار الشعراء والكتاب بدقة متناهية مما يفيد الطالب الجامعي في ذلك العصر, ويفتح مداركه وذهنه أمام هذه الشخصية أو تلك وأثرها في الأدب العربي ولاسيما في العصر الذي عاشت فيه, ويؤلّف فيه المؤلف والباحث الدكتور رشيد.

إنه صوت شجي مغرد من أصوات الثقافة العربية والعراقية خسرناه شخصاً وعلماً وأدباً وتاريخاً وتدريساً, وبقي فينا روحاً ونتاجاً وتواضعاً ووفاءً. فمن باب الوفاء أقام الدكتور ناظم رشيد في مدينة الموصل, مدينة التراث والفكر والشعر, فأحبها كثيراً وأحبوه أهلها وأناسها من كل حدب وصوب, وفي كل مجال وتخصص, فآثرها بالكثير من عناوينه المهمة من مثل أبحاثه ودراساته:

أبن أبي عصرون الموصلي, أبن حمدون الموصلي, أبن مسهر الموصلي, أبن عدلان الموصلي, أبو الفتح الموصلي, أبو الحسن الهروي الموصلي وحاله في القرن

السادس للهجرة.... وغيرها من هذه الأبحاث والدراسات, مما يدل على وفاء صادق وكبير في شخص هذا الرجل وعلمه.

وتواضعاً عندما جاء يوماً إلى الأستاذ الكبير هلال ناجي حاملاً شعر مُجير الدين بن تميم, وقد جمع شعره من شتيت المظان التي ترجمت له وأوردت ذاك الشعر, فأخبره الأستاذ المحقق هلال إنَّ للشاعر ديواناً مخطوطاً فريداً في الدنيا وإنه يحتفظ بنسخة جيدة من هذا المخطوط في الفريد وقد جلبه من باكستان في إحدى زياراته, فاتفقا سوياً على تحقيق المخطوط واصدار الديوان, وبالفعل اتمّا التحقيق وجعلا الشعر المجموع مما لم يأتِ في المخطوط ذيلاً لهذا التحقيق, واقتسما الدراسة بالحديث المفصَّل عن الشاعر وشعره. وصدر هذا العمل المشترك الطيب عن عالم الكتب في بيروت في أبهى حلة, وأجمل تغليف, فكان بحقٍّ مفخرةً للعمل العراقي الجاد والأصيل.

ولقد كان هذا العمل منهلاً عذباً للشاربين من أهل الأدب العربي ومن المهتمين بتحقيق نصوصه الشعرية الجديدة, فهيئ الله - سبحانه وتعالى - من يستدرك عليه ويضيف إليه الإضافة الحقيقية العلمية الرصينة, ويعلّق عليه التعليق المنهجي المحكم, فأنبرى لهذه الأشياء العلمية والمنهجية الدكتور المحقق الثبت عباس هاني الجراخ فخصّ هذا الديوان بدراسة مستفيظة من نقد التحقيق والاستدراك والإضافة وإعادة بعض النصوص إلى واقعها الصحيح من العروض والترتيب, والزيادة عليها في الاحالات والتخريجات. فتكامل العمل والجهد العراقي في التحقيق ونقده والتعليق والاستدراك.

ولا تقتصر أعمال الدكتور المحقق والمؤلف ناظم رشيد على التأليف المنهجي, أو التحقيق للدواوين الشعرية, أو كتب طبقات الشعراء وتاريخهم في العصر الوسيط, وإنما له من الأبحاث والتآليف ما يشهد له بالرصانة والأصالة العلمية والابتكار البحثي الأنموذج الأدبي والنقدي. فمثلاً بحثه عن المجالس الأدبية في عصر صلاح الدين الأيوبي, تحدّث فيه عن هذه المجالس وأهميتها الأدبية والنقدية والفكرية في عصر هذا السلطان, وما في هذه المجالس من نقد وتعليق وتأويل وإضافات من كل حاضريها. فأنظر إلى هذه الأهمية الكبرى التي جاءت في هذا البحث.والأهمية الأخرى كمُنت في أنها فتحت الباب الواسع أمام الدارسين والباحثين لتطبيق هذا العنوان على عصور أخرى, وفي عصور سلاطين آخرين مستوحين من عمل الدكتور ناظم الفكرة والعنوان والتفاصيل.

وكذلك بحثه عن (القدس في شعر القرن السادس للهجرة), إذ كان من الأهمية العلمية والموضوعية والتاريخية بكل مكان وهو يتحدث عن المكان (المدينة) وأثرها في أدب هذا القرن وعند شعرائه وما قالوه فيها. وكيف كان المكان, المكان وحده, هو المثير والدافع والحافز لهذه الأشعار لأهميته وقداسته عند المسلمين وغيرهم من الشعراء والكتاب والمتلقين.

ومثل ذلك بحثه وكتابه عن المدائح النبوية في عصر الحروب الصليبية, أو في أدب القرنين السادس والسابع الهجريين, إذ مثلت أعماله هذه إضافة مهمة علمية وبحثية أخرى لجهود الباحثين والدارسين والمحققين العراقيين والعرب في هذا الفن الأدبي المهم, وهذه القصيدة العربية الفريدة في الموضوع والفن والشخص.

إنه أستاذ قدير يستحق منا الكثير والكثير, وصوت علمي وبحثي وتحقيقي عالٍ في الإبداع والتألق والخلق والمعونة, علّنا نقلده في تواضعه ووفائه وعلمه وأمانته. هذه الخصال والسمات التي ربتما نُسّيت اليوم عند الكثير الكثير من باحثينا ومؤلفينا ودارسينا ومحققينا..... وللأسف الشديد؟!

مجاهد مصطفى بهجة... سطور في حياته وآثاره.

بعد حياة ملؤها الأمل والعطاء والدين والخلق الرفيع, وبعد حياة غايتها الفكر والأدب والتأليف والبحث والتعليم, وبعد حياة رحلت إلى دول عربية وأسلامية تنشر اللغة العربية, وتؤكد على أثر الأسلام فيها, وتجمع عن هذا الشاعر وذاك, وتبحث في هذا الموضع أو غيره... رحل عنّا إلى عالم الخلود والبقاء الأستاذ الدكتور مجاهد مصطفى بهجة, وهو أستاذ الأساتيذ في الأدب العربي في العصر العباسي في العراق والوطن العربي.

يمتاز الدكتور المرحوم مجاهد بالنفس الاسلامي العالي, والأثر الديني الواضح في كتبه ودراساته وأبحاثه. فقد تناول شعر الأمام الشافعي - رحمة الله عليه رحمة واسعة - في دراسته للماجستير, دراسة وجمعاً وتحقيقاً.

أما في أطروحته للدكتوراه فقد اختصَّ بالتيار الاسلامي في شعر العصر العباسي الأول, ذلك الجهد العراقي الأصيل والكبير الذي بقي إلى يومنا هذا مرجعاً مهماً لأهل الأدب والفكر والدين وتاريخ المذاهب والفرق والنحل والملل التي ظهرت في هذا العصر, لرصانته واطلاعه الكبير والواسع على المظان الأدبية والدينية والتاريخية والفكرية والعقائدية المختلفة, وأمانته البحثية في كل رأي وفي كل ما يواجه الباحث في هذا الموضوع المعروف بحساسيته واتساعه في العلوم والفنون كلِّها.

ويمكننا أن نرى من هاتين الدراستين بوضوح وروية أثر الاتجاه الديني الملتزم في شخصية الدكتور مجاهد, علماً وخُلقاً وأدباً وبحثاً. ولم يقتصر الأمر على هاتين الدراسيتن وحسب مع أهميتهما وشهرتهما, بل كانت هناك دراسات وأبحاث أخرى تبرز صفات هذا الشخصية علماً ومنهجاً من مثل:

بحثه القيّم والكبير عن الملامح الإنسانية في شعر علي بن الجهم, وبحثه وتحقيقه للباقيات الصالحات من شعر المنصور الفقيه, وتحقيقه وجمعه لشعر الأمام المجاهد عبد الله بن المبارك, وبحثه عن أثر الاسلام في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من المسلمين, وتحقيقه لمخطوط الثعالبي ((الشعر والشعراء وأنواع اقتباسهم من ألفاظ القران ومعانيه)). وفي هذه الأبحاث والدراسات والتحقيقات كلِّها يهتمّ الباحث والمحقق والدارس الدكتور مجاهد مصطفى بهجة بالشعر العربي ومضامينه الدينية والاسلامية والاخلاقية والتربوية والتعليمية المهمة, وكيف أثّر الاسلام في هذه النصوص الشعرية, وفي شعر أصحابها, من الأحداث التاريخية, والوقائع الاسلامية ورموزها وأبطالها, وصنّاع المجد الاسلامي والعربي الكبير الذي نتمنى أن نعود إليه يوماً وإلى ماضيه التليد....؟!؟!

ومن الأعمال الفكرية والعلمية الأخرى التي عُرفت له, وانتشرت كثيراً بين الباحثين والدارسين والمحققين في الأدب العربي ولاسيما في عصره الذهبي, عصر الحضارة الاسلامية العربية الزاهرة, ألا وهو العصر العباسي, كتابه الموسوم بـ:

((المكتبة الشعرية في العصر العباسي 132هـ - 656 هـ, ثبت وفهرسة وصفيّة تحليليّة للدواوين والمجاميع الشعرية)). إذ فيه مئات الأسماء من الشعراء والأدباء في هذا العصر البهي, ومئات أسماء المحققين لهذه الأسماء اللامعة من الشعراء وأصحاب الدواوين المحققة, والمجاميع الشعرية العباسية المصنوعة. وكان هذا العمل من الأهمية القصوى إذ انهال عليه الدارسون والمحققون بالتعريف والإضافة والاستدراك على هذا الاسم أو ذاك, وعلى هذا المجموع أو غيره, وعلى ذاك التحقيق أو سواه.

وأما عن آخر أعماله الفكرية والبحثية فكان تحقيقه - رحمة الله عليه - لديوان أبن أبي حجلة التلمساني (ت 776 هـ), وهو التحقيق الكبير والمهم في سيرة الأستاذ الدكتور المحقق مجاهد مصطفى بهجة العلمية والبحثية. فقد أوسع الدكتور المحقق مجاهد وشريكه الحديث عن حياة هذا الرجل الأديب والمصنف والعالم والإخباري الكبير, ومن ثمّ اطنبا في الحديث والدراسة عن مؤلفاته ومصنفاته؛ المطبوعة والمخطوطة والمفقودة التي ذكرها الكثيرون له من أصحاب التآليف والتراجم وممن كتب ودون في كتب الأدب والطبقات والشخصيات.

ومنها تكلّما عن الشاعر وشعره ومن خصّه بالدراسة والتحليل من قبلهما. وكانت هذه الدراسة تستند إلى المرتكزات الموضوعية والفنية والأسلوبية المهمة من مثل عناوينه في هذه الدراسة الجادة:

- الأقتباس والتضمين.
- الطباق.
- التورية.
- التكرار.
- الجناس.

وفي هذي العناوين كلها كانت الدراسة تقوم على الشواهد التطبيقية الكثيرة من ديوان الشاعر ومن شعره وقصائده المختلفة في شتى الموضوعات, وكافة الأغراض التي نظم فيها في أبن أبي حجلة التلمساني, وأجاد فيها أوبدع.

هذا فضلاً عن دراسة وافية واسعة عن حياة الشاعر ورحلاته في الأمصار الأسلامية, وأقامته في بلاط السلاطين ونظمه الشعر في مدحهم أو رثاهم أو وتوثيق أفعالهم العمرانية والحضرية والفكرية وانتصاراتهم العسكرية, ومنجزاتهم السياسية والتاريخية.

هذه كانت سطور علّها تكون مضيئة وتنويرية لشخصية هذا الرجل وسماته الفكرية وعطائه الدائم, فضلاً عن مسيرة حافلة وكبيرة في أروقة المحاضرات, والقاعات الدراسية المختلفة في الأقسام العلمية, والكليات المختلفة, علماً وفكراً وتدريساً وناصحاً ومربياً وموجهاً ومعلماً, رحم الله رحمة واسعة, وعلّمنا بما ترك, وأفادنا بما كتب وبحث وحقق ونشر..... ومن الله التوفيق دائماً.

عولمة المكان الثقافي

كان المفروض أن يكون عنوان هذا المقال ((عولمة المكان الثقافي في العراق)), ولكن ما أن باشرت به, وتحدثت عن هذا الموضوع مع بعض الأصدقاء والزملاء من أهل الفكر والثقافة والأدب في الاردن, ومصر, والمغرب, والسعودية, واليمن... وجدت المأساة نفسها, والمعضلة ذاتها, فأحببت أن يكون العنوان عاماً وشاملاً لكل هذه البلدان ولكل هاتيك المدن التي برزت فيها هذه العولمة الجديدة, وهذا القصور الواضح.

المتنبي, أقصد شاعر المتنبي في بغداد, والمسرح الوطني أو دائرة السينما والمسرح في بغداد, وأتحاد الأدباء والكتاب في العراق في بغداد, تلكم هي الأماكن الثقافية في العراق, ولاشيء غيرها, ولا مكان سواها, بل ولا بعدها كما هو واضح في وسائل الاعلام المرئية والمسوعة والمقروءة, ووسائل الانترنت, ورسائل الجوالات, ونشرات الجرائد والمجلات!!!

فأين أماكن الثقافة في المحافظات الأخرى, بل وأين وسائل الأعلام التي تغطي هذه الأماكن وانشطتها الثقافية الكثيرة, وأين مراسلو قناة الحضارة والقنوات الفضائية الأخرى لينقلوا لنا نشاط تلك الأماكن وإصدارات مثقفيها وشعرائها وكتابها؟؟

وأنا لا أعرف - حقيقة - أين الخلل وأين القصور في رجالات تلك الأماكن, أم في رجالات وسائل الأعلام؟! فأنا أعرف, كما يدرك الجميع, أن رجل الأعلام الحقيقي هو الرجل المجاهد الصبور الأمين الخلوق الذي يبحث عن الخبر الطازج, والمادة الدسمة التي يحتاجها القارئ والمتلقي ويقدمها بكل أمانة ونزاهة وموضوعية وحرفية.

وأنا هنا لا أودّ أن انقل الحديث من المكان الثقافي إلى الأعلام ووسائله ورجالاته, فذاك موضوع آخر يهتم به أصحاب الشأن, وأهل هذه الحرفة وهواتوها. وعودٌ على بدءٍ إلى سمات المكان الثقافي وكيف طغت بعض الأمكنة على الأخرى على مافيها من تكرار وإعادة ارهقت عين القارئ وأذنه وسمعه, وجعلته يفكر في غيرها ويسأل عن ذاك الآخر المجهول الذي يريد أن يكون أمامه هو ثقافته ونتاجه, ولكن لا يعرف كيف, وهو يعيش التهميش والإقصاء لاسباب كثيرة, أولها بُعد الأعلام النزيه عنه, وبُعد الثقافة الحقيقية عنه, وبُعد الكتّاب والصحفيين المهنيين عنه....

إنَّ المكان إنما يأخذ أهميته ومكانته من الأحداث التي تجري فيه, ومن الاشخاص الذين يعيشون فيه. ولعلّ أحداث اليوم في العراق والوطن العربي من أهم أولويات هذا المكان, ويجب أن تكون من بين مرتكزات وأساسيات أصحابه وأهله وهم يناقشون ويبدون آراءهم النافعة المفيدة فيها.

وأما الاشخاص من أصحاب الثقافة والفكر فما أكثرهم, وما أكثر نتاجهم, وما أكثر ما يكتبون وينشدون في بابل والموصل وسامراء والبصرة, وفي أربد وعجلون

والكرك, وفي الطائف وتبوك وأبها, وفي تعز وحضرموت والمكلَّا ... فلماذا الاقتصار والتقصير على المثقفين وأماكنهم في بغداد وعمّان والرياض وصنعاء؟!

إنها عولمة جديدة لم تكن في الحسبان, وهي بحاجة إلى حلول ناجعة وسريعة, مع الحلول الأخرى الكثيرة التي نحتاجها اليوم في الأمور والاتجاهات والمناحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والامنية!! فأيها الاعلاميون لاتزيدوا علينا النار واهتموا بالأمكنة الثقافية ومثقفيها في المحافظات والمدن الأخرى غير العواصم الأساسية والمركزية التي اعتادها المشاهد, وربما زهق منها وضجر.

كذلك بودّنا جميعاً أن يكون الحديث في هذه الأمكنة عن أثرالمثقف في الأوساط الاجتماعية والتربوية والتعلمية التي يعيش فيها ومدى هذا التأثير إيجاباً وسلباً, وأن نفعّل هذا الأثر وأن نهتمّ به ونجعله في خدمة قضايا المجتمع الذي نعيش فيه. وكذلك بودّي أن يكون من بين المحاضرات والندوات الأثر السلوكي لطلبة مدارسنا في مراحلها العمرية المختلفة وللجنسين معاً. وأثر الدين في قضايا المجتمع والدولة, والأثر التربوي والتعليمي لخطباء مساجدنا وجوامعنا على الواقع الاجتماعي اليوم... وهلّم جرّاً, وألا تكون هناك عولمة في الاشخاص والمحاضرات والندوات التي لا تهتمّ إلا بالشعر أو القصة أو المسرح, والذي لا يرى المشاهد والمثقف أية فائدة منها إلا قضاء الاوقات, وترتيب برامج الفضائيات والاذاعيات, وملئ الصحف والمجلات بالمداد الأسود وقد ملّه الكثيرون وسأموه وتركوه. وأرجو ألا تكون العولمة في العنوانات والندوات المقترحة مع العولمة في الامكنة الثقافية كما ذكرت. فلنترك التقليد ولنبحث عن الجديد والاصيل المبتكر وهو كثير فينا ومعروف لنا, يحوم حولنا, ويسأل عمن يخرجه إلى النور وإلى القارئ والمتلقي والسامع والمشاهد.

إنه صوت آخر من أصواتنا المُنساة, ومن تجاربنا الحياتية والثقافية تضاف إلى الأصوات والتجارب الأخرى التي أتمنى ألا تُنسى أكثر مما هي الآن... ومن الله العافية.

منهج الدكتور حياة قارة في تحقيق النصوص الشعرية الأندلسية

شيخةٌ وقورة في عزّ الشباب الروحي, وعالمةٌ كبيرة جليلة في ريعان العطاء والانجاز, والنشر والاشهار. تراها متهللة ضاحكة وهي تنتقل بين طلّابها وتلقي عليهم المحاضرات المختلفة في الشعر العربي الأندلسي وتاريخه, ونقده, وتوشيحه وأزجاله.

عُرفت بالتحقيق والتوثيق والإخراج لهذا الشعر الأندلسي العربي الأصيل, ولنفائسه الخالدة, فأصدرت منها أكثر من عنوان واحد, وأكثر من جهد محقق واحد, ولعلّ أهمها واشهرها هي:

- كنز الكُتاب ومنتخب الآداب, للبونسي الشريشي (ت 651 هـ).
- شعر أحمد بن شكيل الأندلسي (ت 605 هـ).
- شعر أبي عمران الميرتلي الأندلسي (ت 604 هـ).
- المقتضب من كتاب سمط الجنان في سقط الأذهان, لأبي عمرو عثمان بن علي بن عثمان (ت 560 هـ).
- كتاب شرح مشكل الفاظ مقامات الحريري, ومعه نبذ من شرح غريب مقامات الحريري, لأبي طالب عبد الجبار المعافري القرطبي (ت 566 هـ).
- ديوان أبي الطيب الرندي (ت 684 هـ) في أعماله الشعرية والنثرية... وغيرها.

وفي هذه الأعمال التحقيقية كلّها كانت الدكتورة المحققة تستوفي الحديث عن صاحب المخطوط أو عن الشاعر الذي تجمع شعره ورسائله ونثره, وتوسع في العنوانات الكثيرة حتى طالت وكثرت ولاسيما في تحقيقها الفريد لشعر ونثر أبي البقاء الرندي من مثل: ((أبو الطيب الرندي - سيرة من الزمن الغرناطي -, بين أنواع المكان وصوت التجربة, بين ربوع رُندة, ثقافة الرندي وشيوخه, الرحلة في الأندلس, الشعر والتاريخ...)), وغير ذلك. ومثل هذه العنوانات تماثلت في الجمال وتشابهت في الكثرة في الإصدارات المحققة الأخرى التي نشرتها الدكتورة قارة واشهرتها للباحثين والدارسين والمحققين والمؤلفين في الأدب العربي, ولاسيما في الأدب الأندلسي.

ومن منهجها في التحقيق أيضاً, أنها تكثر من الهوامش والاحالات والتخريجات, وهذه الهوامش والاحالات والتخريجات تستند إلى المظان الأدبية الأصيلة المحققة تحقيقاً علمياً رصيناً, والمنشورة نشرة أصيلة جادة. آية ذلك ثبت المظان من المصادر والمراجع والمقالات والمصادر باللغتين الانكليزية والفرنسية التي تأتي مع نهاية كل عملٍ تحققه وتصدره إلى القراء.

ومن منهجها كذلك, أنها تدرس النصوص الشعرية الأندلسية التي تحققها دراسة موضوعية وفنية وتحليلية نقدية, وتبين أثرها في عموم الشعر العربي وما فيها من

مواطن الجمال والتناص والإبداع التصويري والموسيقي... وغير ذلك, مما عرفناه في الدراسات الأدبية والنقدية الحديثة التي تختصّ بالأدب العربي وتعتني بشعره.

ومن منهجها في تحقيق النصوص الشعرية الأندلسية, أنها تعتني بهذه النصوص أيما عناية وهي تنشرها لأول مرة من مثل العناوين التي حققتْها واصدرتها, والتي ذكرتها آنفاً. ما عدا شعر أبي البقاء الرندي الذي اصدره على شكل مختارات ومقتطفات من قبلها الدكتور محمد رضوان الداية, والذي نشره أيضاً الدكتور انقاذ العاني, وهي نشرة سيئة وغير علمية البتة, ففيها نقصٌ كثيرٌ في عدد النصوص الشعرية, وخلتْ من النصوص النثرية ورسائل الرندي, كما أنها ابتسرت الكثير من التخريجات والاحالات بدون مسوغ, فضلاً عن الاخطاء اللغوية والنحوية والاملائية والعروضية الكثيرة التي جاءت في ثنايا هذا العمل وبين صفحاته.

ولعلّ من اهم الأعمال التحقيقية للشعر الأندلسي الذي أصدرته الدكتورة حياة قارة هو تحقيقها لكتاب كنز الكتّاب ومنتخب الآداب للبونسي, إذ هو من مصادر الأدب الأندلسية الأصيلة, ويعدُّ أضافة غنية وسمينة لنصوصه الشعرية, جمعاً واستدراكاً ورواية, وعلى الدواوين والمجموعات الشعرية الأندلسية التي تعاون على تحقيقها وجمعها الدارسون والمحققون والباحثون في الشعر الأندلسي على مختلف الأزمان, ومن جميع البلدان والأماكن, كما أنه سيعدُّ مصدراً جديداً من مصادر التخريج والتوثيق للدواوين والمجموعات الشعرية الأندلسية التي ستصدر في المستقبل القريب, لباحثين ودارسين ومحققين أصلاء في هذا الأدب الأصيل... إن شآء الله تعالى.

إنها أملٌ جديدٌ, وباحثٌ ومحققٌ متميزٌ ننتظر منه الكثير في مجال التأليف والتحقيق والدراسة, ونتمنى من الباحثين والدارسين أن يقلّدوا هذه الجهود ويسعوا لئن يكونوا مثله في المثابرة والمتابعة والجدة والأصالة والنشر والإخراج, وألا يكتفوا بالتقليد القسري الأعمى الذي أوردنا الموارد السامة, وجعل أعمالنا في تكرار سقيم, وأمانة علمية مجروحة من الوردي إلى الوريد.

فأظنها صوتاً يستحق أن نصفّق له, ونطرب لما يصدر في ميادين حياتنا العلمية والتحقيقية والتي أرجو أن تكون رفيعة وعميقة وأمينة وجادة كما كانت في اصدارات الدكتور قارة ونتاجاتها... والتي نأمل منها بالمزيد, والمزيد المفيد, والمفيد الفريد... بإذن الله تعالى وتوفيقه ومعونته.

التراث الأدبي في المسلسلات المصرية.. الأمثال الشعبية أنموذجاً

الأمثال ظاهرة أدبية لها دلالات اجتماعية, وسياسية, وفكرية كثيرة بحسب البلدان والدول التي تقال فيها, وشعوب تلك البلدان والدول التي تتناقلها وتأتي في طيات حديثها وحوارها, وبحسب الموضوع وطبيعة اللهجة المستخدمة, والغرض, والموضوع والأهداف التي يرمي إليها ذلك الحديث والحوار .

وللأمثال دلالات شعبية وتراثية فلكلورية كثيرة أُخذت من الواقع المعيش وتعكس عادات وتقاليد وتراث تلك الشعوب التي تأتي الأمثال لتترجم واقعها, وتقصّ تجارب أهلها والناطقين بها, ومن يستشهد بها في حديثه.

ولاحظت أن الأمثال الشعبية كثيراً ما تأتي في الحوارات التي تدور بين الشخصيات المختلفة وفي الموضوعات المختلفة داخل المسلسلات المصرية, ويحسن الكاتب توظيفها بحسب مادة الكلام, وتؤدي أهدافها وغايتها من هذا التوظيف على الغاية من الجمال والاتقان. كما إنها تنقل تراث الشعب المصري إلى المتلقي وإلى المشاهد أو السامع, ولاسيما وكثرة هذه المسلسلات في الفضائيات والاذاعات وكثرة الراغبين بالنظر أو الاستماع إليها. ومن هنا نقلتْ هذه الأمثال إرثاً كبيراً اجتماعياً وفلكلورياً إلى الناس, واصبحوا يحفظونها ويتحدثون بها في كلامهم الاعتيادي, وباللهجة المصرية الشعبية التي تصف أدق تفاصيل الحياة الشعبية المصرية. وهذه جوانب مهمة من جوانب التاثير ونقل تجربة الكاتب إلى الآخرين من خلال الأمثال الشعبية ومدلولاتها.

ويأتي التوظيف للأمثال الشعبية التراثية من الكاتب المصري في مسلسلاتها بشكل عفوي وتلقائي. ليس فيه غموض أو تعقيد إلى إنها تؤدي أهدافها في تأكيد فكرة الشخصية التي تستشهد بهذا المثل أو ذاك وتدعم رأيها أمام الشخصية الأخرى التي تحاورها, وتحاول الوصول إلى نتائج طيبة من هذا الحوار.

ومن أهدافها أيضاً بيان حال المتكلم فيما يريد أن يبوح به بحسب دوره في المسلسل, وهذه ميزة غالباً ما تكون عند جميع الشخصيات داخل المسلسل المصري الواحد.

ومن أهداف هذه الأمثال الشعبية أيضاً, أنها تمدّ الحوار, وتوسع من مناقشة الموضوعات التي تدور بين الشخصيات بهذا الاقتباس من هذه الأمثال. وكثيراً ما تبدأ هذه الشخصيات المتحاورة داخل النص بمثل شعبي معين, وغالباً ما تنهي في حوارها بمثل شعبي آخر, في الموضوع نفسه, وفي الغرض نفسه, وفي الحدث نفسه.

هذا فضلاً عن الهدف المهم للأمثال الشعبية, ولعموم الأمثال في العربية من إنها تزيد في حلاوة الكلام, وتضفي عليه رونق وجمال العبارات المسجوعة, واكتشاف الأثر الديني والأدبي من خلالها, ناهيك عن إنها تعكس ثقافة الكاتب وسعة اطلاعه, وحسن توظيفه لها بحسب الحوار, والحدث, والشخوص, كثرة وكماً, اطناباً وإيجازاً, شعراً أو نثراً... ولقد رأيت مثل هذه السمات عند كتاب المسلسل المصري من مثل: مصطفى محرم, ويوسف معاطي, ومجدي صابر... وغيرهم.

وجمعت حزمة طيبة من هذي الأمثال التي رأيت أنها تتكرر كثيراً عند هؤلاء الكتاب, وفي مسلسلاتهم, وشرحت مضامينها ودلالاتها, وبناها الفنية مع باقي عناصر السرد من حوار وشخوص وأحداث داخل المسلسل الواحد, فكانت كما يأتي:

- من يحسب الحسبات, في الهنا يبات.

يضرب هذا المثل أمام الشخصية التي تحاول التملص من شيء وقعت فيه خطأ وبدون تفكير مسبق ولايصح التراجع عنه. مما يجعل الشخصية اللائمة تأتي بهذا المثل الشعبي موبخة, ومؤنبة على تصرف الشخصية المقابلة, وعقوبة لفعلها وتصرفها.

وغاية هذا المثل هو الاقناع للشخية الأولى, وتنبيهاً للسامع والمشاهد على التفكير ملياً وجلياً قبل أي فعل يفعله, أو يفكر في فعله.

- اخطب لبنتك, وما تخطبش لابنك.

هذا المثل كثيراً ما تطرحه الزوج (الأم), أمام الزوج (الأب) حين لا يوافق على العروس (الشاب) المتقدم لخطبة ابنته, ويقلل من قيمته وقيمة طلبه أمام البنت وأمها لأسباب عائلية أو اجتماعية أو اقتصادية, وهذي الأخيرة هي المهمة في هذي القضية, علماً أن الشاب ذو خلق وعمل, إلا أنه بسيط ومحدود, فتسارع الأم بطرح هذا المثل أمام الأب في حوار طويل وكبير لإقناعه بالمتقدم لأبنته, وتلبية طلبه.

- اللي ما تحتكش وجه النهارده, بكرة تحتجك أفاه.

يأتي هذا المثل في الحوار بين الشخصيات التي تتناقش في موضوع واحد حول أناس معروفين, أو حول ظاهرة اجتماعية تتحدث عن مقامات الناس ومكانتهم الاجتماعية والفكرية. فتأتي إحدى الشخصيات بهذا المثل محاولة اقناع الشخصيات الأخرى بالتعامل بالحسنى مع الناس كلهم مهما كانوا, وأينما كانوا, وكيفما كانوا. وهو مثل مهم في حياتنا غايته احترام الآخرين وانزالهم منازلهم الحقيقية, وألا نستصغر أحداً أو ننال منه بدون وازع ديني, أو رادع خلقي. فربما نحتاج إليه يوماً, ودوام الحال من المحال, ولو دامت الدنيا ومناصبها لغيرك ولسواك ما وصلت إليك, ولا إلى من بعدك. كما حدث في مجتمعنا العراقي بعد 2003, وكما يحدث مع هذا المجتمع في أزماته المتكررة, ونوازله ومآسيه الكثيرة التي تغير الوجوه والمناصب والمسؤوليات والشعارات؟؟!!

●اللي مامعوش, ما يلزموش.

يأتي هذا المثل بين الشخصيات داخل المسلسل المصري في نهاية حوارها الذي كتبه المؤلف. ويريد منه انهاء الحوار وتعليق الأمر لانهم يتحدثون في أمر لايمكن حصوله لاسباب مادية بحتة. فيأتي هذا الحوار قاطعاً لباقي الآراء والكلام لتنهي الحوار والمشهد.

●شيل من ده عن ده, يرتاح ده على ده.

يأتي هذا المثل كثيراً مع الحوار الذي نشم فيه رائحة الخلافات لأية أسباب كانت, فيأتي أحد الشخوص بهذا المثل داخل الحوار محاولاً تعليق المناقشة التي ربتما تطول وتطول. فغاية هذا المثل هو تأكيد لرأي الشخصية الرئيسة (بطل المسلسل) داخل الحوار, فينهيه, أو يعلق الكلام فيه.

●اللي عنده كحل يتكحل.

ويأتي هذا المثل في الحوار الذي يتحدث عن أحدى الشخصيات التي تحاول تعطيل الشخصيات الأخرى أو الوقوف ضدها, متذرعة بحجج عدة. ويحاول صاحب الحوار أن يقنع الشخصيات الأخرى بوجوب العمل, والسعي لطلب الرزق الحلال بالتعب والمشقة, غير آبهٍ أو مبالٍ بما يقوله الآخرون ممن ينافسوه, أو يزاحموه في الطلب والكسب. فإن عاتبه أحد أو لامه جاء بهذا المثل للتأكيد على همة ورغبة من يريد العمل, ومن فيه الرغبة لئن يكون شيئاً مهماً, ورقماً كبيراً للآخرين من خلال عمله, وتعبه وكده.

●أخرة الزمر طيط!

يأتي هذا المثل في نهاية الحوار الذي يدور بين الشخصيات التي تتحدث عن البهرجة والتعالي في هذه الدنيا, وفي جانب من جوانبها المعيشة مهما كان أو كبر من الأهمية لنا وللآخرين. فيجب أن نأخذها – الدنيا – بعين البساطة والتواضع. فينتهي الحوار بهذا المثل لتأكيد تلك البساطة, وذلك التواضع.

●النبي وصى على سابع جار.

مثل استنبط من الأحاديث النبوية الشريفة الكثيرة التي تدل على احترام الجار ومكانته, ومعاملته بالطيب والإحسان.

وهذا المثل ذو مغزىً ديني, واقتباس عن حديث وأحاديث كثيرة حفظت حقوق الجار, وأوجبت محبته. ويأتي الكاتب دائماً بهذا المثل في ثنايا حواراته ليعطي شخوص ذلك الحوار الأبعاد الدينية, والتأثيرات الأسلامية التي يعرفها المسلمون ويعيشون في ظلّها.

●دي العين عليها حاجب.

وهذا المثل أيضاً ذو مغزىً وبعد ديني وأخذ من الأحاديث النبوية التي دلت على أهمية هذي الحاسة عند بني البشر. ويضرب لمن يبالغ في حراسة شيء أو الحرص عليه حرصاً شديداً غير مبالٍ بالقدر المكتوب. فتأتي إحدى الشخصيات بهذا

المثل ليرسخ في ذهن الشخصية المقابلة أهمية التوكل على الله, والرضا بقدره وقضائه مهما كان.

●كل شيخ وألو طريقة.

هذا مثل ذو دلالة اجتماعية. ويضرب من إحدى الشخصيات ليؤكد طريقته في الحياة, فإن اعترض عليه أحد, أو عاتبه, أو ناقشه في طريقته ومنهجه, وآرائه تذرع بهذا المثل, وتججح به منهياً العتب والاعتراض والمناقشة.

●على وجك يبان... يا نداغ اللبان.

من العلكة وماضغها وماضغتها يبان ما في جعبته أو جعبتها. وهذا مدلول المثل الذي غالباً ما يأتي في الحوارات التي يضعها كاتبها أو كاتب المسلسل ليبين عن عمل شخص أو مجموعة من الشخوص في هذا المسلسل أو ذاك, أو نيته ونيتهم في العمل قبل وقوعه, أو قبل معرفة باقي الشخصيات به.

●كوه وبره فرشتلك... وأنت مايل وأيه يعدلك.

يأتي هذا المثل على لسان النسوة داخل المسلسل اللواتي يعرفن بغدر الزوج وخيانته, ولاسيما بعد أن تكون هذه المعرفة عن طريق النساء الآخريات داخل هذا المسلسل. فإذا عرفت الزوج الأولى أن زوجها تزوج عليها, أو تركها إلى غيرها لأي سبب من الأسباب, تغنّت بهذا المثل لتعبر عن صمصم وفائها وأخلاصها لزوجها, بدون جدوى, أو بلا مقابل طيب بعد أن تتأكد أن زوجها ظلمها في حياتها في الأمور العامة والخاصة.

●ائال ياخبر النهار ده بفلوس... بكرة يبه أبلاش.

يضرب هذا المثل في المسلسلات المصرية ليسكت المتكلم الآخر الفضولي الذي يريد معرفة كل شيء, وكل خبر, وكل علم, وكل حدث... في اللحظة والتو! فيُخرس هذا المثل هذا الفضول المقيت, ويحجّم رغبته في معرفة ما يريد. ويقوم بتلاوته إحدى الشخصيات لينهي الحوار عن ذاك الخبر أو العلم أو المحدث المُستَفهم عنه. ويدعو إلى معرفة الأشياء والأخبار والأحداث في وقتها المناسب, وموعدها اللائق.

●يائاعدين... يكفيكو شر الكايين.

يأتي كاتب المسلسل بهذا المثل على لسان إحدى شخصياته. فقد يتدخل بين أعضاء الأسرة الواحدة, أو بين أعضاء العمل الواحد, أو بين أعضاء الدائرة الواحدة, غريب أو غريبة ليس له أو لها شأن أو علاقة بين الآخرين ممن ذكرتهم من أبناء الأسرة الواحدة, أو الدائرة أو الورشة أو العمل... ويسعى هذا الغريب أو الغريبة إلى التدخل الفضّ في شؤون الآخرين, ومحاولة أخذ ما لديهم وما في أيديهم من مال, أو منصب, أو أولاد – أن كانت أمرأة –والباقون من أبطال المسلسل وشخوصه ينظرون إلى هذا الغريب أو هذه الغريبة ولايستطيعون إيقاف فعله الجارح, وعدوانه الآثم.

فيضرب أحد الشخوص هذا المثل ليؤكد تدخل الغريب أو الغريبة في شأنهم الخاص, وعلاقتهم الأسرية أو العملية والوظيفية, وهم لاحول لهم ولاقوة.

● أئال يامأمنه بالرجال... يامأمنه بالمايه في الغربال.

يضرب هذا المثل لمن تأمن بالرجل (الزوج), وتمكنه من كل ما يريد, ولاتعارضه, أو تحاول الاعتراض! وكثيراً ما يأتي هذا المثل في الحوارات التي تكون أبطالها من النساء المتزوجات, فيتحدثن عن إحداهن وكيف خانها زوجها أو يحاول خيانتها, بعد أن وثقت به الثقة العمياء, ومكنته من كل مايريد ويشتهي. وهذا المثل ذو دلالة اجتماعية تعكس واقع الأزواج وكيفية التعامل معهم من قبل النساء (الزوجات) داخل البيوت وخارجها.

● جحا أولى بلحم توروه.

يضرب هذا المثل الشعبي المصري المأخوذ من التراث الأدبي العربي, على لسان الشخصيات التي لديها المال أو الجاه أو المنصب ويسعى الآخرون لأخذها, أو محاولة السطو عليها بالنسب أو الشراكة أو السمسرة والنصب... وغير هذه الطرق والوسائل التي باتت معروفة اليوم في جميع البلدان والمدن العربية وللأسف الشديد. فيأتي هذا المثل مُخرساً لهؤلاء وغيرهم ليؤدي الفائدة البلاغية والدلالية في إنهاء الصراع على الشخص ذي المال والشهرة, ويؤكد على أن هذه الأموال وهذه المكاسب هي من حقه وحق أسرته ومن يعول فقط!

● أئلبي على ولدي أتفطر... وأئلب أبني علي حكر.

هذا المثل من الأمثال ذات الدلالات الاجتماعية والدينية في آن واحد, وهو من الأمثال المعروفة في البلدان العربية كافة. فهو يركز على علاقة الأبناء بالأباء, والعكس عن علاقة الأباء بالأبناء, وكيف يجب من تكون من الصفاء والإحسان وتبادل الأحترام والمودة في كل أمور حياتهما العامة والخاصة. فما أن يحس أن أحداً من العائلة أو الأقارب أن ألأبن قد قصّر في طاعة أبيه وحسن معاشرته وبره كما يملي عليه الدين والشرع والخلق والعرف, حتى يقول أحد الشخوص في المسلسل هذا الأمثل لبفصح عن تاريخ طويل من عقوق الأبناء لأبائهم وتكبرهم على برّهم, ولاسيما عندما يكبر الأبن في السن, والمال, والمنصب, والتحصيل العلمي العالي... أعلى بكثير مما يملك الأب أو أحد الأبوين؟!

● العروس للعريس.... والجري للمتاعيس.

يقال هذا المثل في المسلسل بعد كتب الكتاب, واتمام الزواج. وغايته بسيطة للغاية وهو ترك الزوجين مع بعض وفض وليمة العُرس, والتجمع والتجمهر من حول العروسين حتى من أقرب الناس, وأكثرهم علاقة بالزوجين أو واحد منهما. والحث على ذهاب المعازيم والشهود ومدعوي الفرح إلى بيوتهم, وترك الزوجين ليتمتعوا ببعضهم البعض, ويتعارفوا على بعضهم البعض, ويتفقوا مع بعضهم البعض في أمورهم حياتهم الجديدة في أدق تفاصيلها, وأبسط جزئياتها.

- اللي أولو شرط.... آخرو نور.

ويأتي هذا المثل في أي حوار ينمّ بعده عن اتفاق أو تعاهد في أمور الحياة كلها, الاجتماعية كالزواج.....وغيره, والأقتصادية كالشراكة في الأعمال والمصالح.....وغيرها, والسياسية المتضمنة الأنتماء إلى أحد الأحزاب, أو مجالس الشعب.....وغيرها. وكثيراً ما تبتدأ الشخصية الأولى التي تتكلم بدء المثل وتكمل الشخصية المقابلة (المحاورة) نهاية المثل لشهرته ومعرفته من الجميع.

● أفتكرلك ايه بابصلة... وكل ائطمة بدمعة.

يضرب هذا المثل للتشاؤم من الآخرين, وللتذكير من المعاناة والمآسي التي لاقتها إحدى الشخصيات داخل المسلسل في حياته من الشخصيات الأخرى. ويأتي هذا المثل في سياق الحوار مع الشخيصة التي تحاول الصلح وبسط الوفاق بين الشخصية المظلومة والشخصية الظالمة. وهذا المثل ذو دلالة اجتماعية القصد منه إظهار ضيم إحدى الشخصيات وتعثرها في مشوارها العملي والحياتي وصولاً إلى المجد والثراء والشهرة.

● المليان يكب على الفاضي.

يضرب هذا المثل في الحوارات التي تختصُّ بالجوانب المادية والأقتصادية, وهو ذو دلالة اجتماعية غايته المعونة والمساعدة لجميع أعضاء المسلسل الذين هم بحاجة إلى مساعدة مالية, أومعيشية. ويأتي في الحوارات المختلفة داخل المسلسل, وعلى ألسنة شخوص هذه الحوارات جميعاً حتى من الشخصيات الغنية في حديثها عن المال وتقديمه لمن يحتاجه, أو يطلبه.

● المال السايب... يعلّم السرئه.

ويأتي هذا المثل في حوار الشخصية الغنية أو من زوجها أو من ورثتهما في المسلسل. وفيه إلزام وتأكيد بالحرص على ما عندهم من مال وعقارات, توجب العناية بها وتشغيل مَن هم أمناء ليحافظوا على هذه الممتلكات من السراق واللصوص. وهو مثل ذو دلالة اجتماعية ودينية يركز على حفظ الأمانات والمواريث وما يملكه الشخص أو العائلة حتى لا يضيع ولايلام أحدٌ في ضياعه.

الإنشاد الشعري المحكم... خلف دلف ألحديثي

منذ أن ألّف الأستاذ الدكتور فهد محسن الفرحان – أستاذ الأدب والنقد الحديث في كلية الآداب في جامعة البصرة – كتابه عن الشاعر البصري الكبير محمود البريكان, والموسوم بـ:

((الإبلاغ الشعري المُحكم... دراسة في شعر الشاعر محمود البريكان)), وأنا معجب ومحب لهذا العالم وكتابه وشاعره. وأتمنى أن أحاكيه وأسير على نمطه في التأليف والتحليل وأختيار الشاعر المُفلق الذي يستحق دراسته والكتابة عنه, كالشاعر البريكان وشعره الذي فيه ما فيه من حسن السبك, وجودة النظم, ودقة استخدام الألفاظ, وروعة الصياغة والتراكيب, وحسن تلائم الصور وموافقتها لقوافيها حتى لا منافرة بينهما. وتكون شخصية الشاعر الذي أكتب عنه كشخصية الشاعر البريكان, جمالاً, وأناقة, ولباقة, ولطافة, وحسن سلوك ومعاشرة.

ويزداد أعجابي بهذا المؤلَّف, وصاحبه الأستاذ الجامعي الرائع البارع ذو البحث الممنهج, والأسلوب الرشيق الرصين الذي يصل إلى قلوب الآخرين من باحيثن ودارسين في الأدب العربي وغيره وعقولهم ومكتباتهم, وإلى والقارئ وما يبغيه من الكتاب بمثل هذا الموضوع, فضلاً عن إيصال المعلومة الحقيقية إلى هذا القارئ اللبيب, والتحليل الفني المتقن إلى المتلقي والدارس المختص في الأدب العربي الحديث. فضلاً عن إعجابي بوفاء الدكتور فهد في كل ما كتب لمدينته البصرة, بصرة الشموخ والنخل والبحر والشعر, فكتب في أدبائها وشعرائها, إذ كتب عن شعر سعدي يوسف وشعره بعد دراسة حياته ومافيها من ملابسات, ودراسته الكبيرة والمُحكمة عن الشعر في البصرة, ناهيك عن دراسته وكتابه الأخير عن البريكان وشعره وخصائص هذا الشعر الموضوعية والتركيبية والفنية والأسلوبية.

وأما عن شاعرنا خلف دلف الحديثي, فقد أصدر في مسيرته الأدبية والفكرية أكثر من ديوان, وأكثر من مجموعة شعرية واحدة. وهذي الدواوين والمجاميع الشعرية التي أصدرها الشاعر والأستاذ الحديثي كلها تتغنى بالعراق وحضارته وتاريخه, وبحبه وحب أهله, وتدعوهم إلى الوحدة والتلاحم, والوقوف يداً واحدة بوجه الأعادي ومخططاتهم ومؤامراتهم التي تريد النيل من هذه الوحدة, وهذه اللُّحمة.

وأكثر ما يُعجب الحاضرون والمراقبون لشعر هذا الشاعر هو إنشاده لشعره أمام المتلقين, في المهرجانات والندوات التي يحضرها في كل مدينة توجه إليه الدعوة من مدن العراق, لحضور مهرجانها التي تقيمه هذه المدينة لأية مناسبة من المناسبات.

ولاشك في أن إنشاد الشعر مهم, ومهم جداً للشاعر, وقد ألَّف الأستاذ علي الجندي كتاباً لطبفاً في ذلك سماه: ((الشعراء وإنشاد الشعر)), تكلَّم فيه بإسهاب عن

أهمية الإنشاد في حياة الشاعر وشعره, وكيف يجب أن يكون, ومَن من شعراء العربية من يُحسن الإنشاد, ومَن منهم لا يحسنه... وعُدّ عيباً عليه, ومثلبة في شخصياتهم.

ومن هنا يمكن لنا أن نضيف الشاعر خلف إلى قائمة الشعراء المحُسنين من المُنشدين لشعرهم من باقي شعراء مدينته. فهو يتقن القصيدة التي يروم إنشادها من الاختيار, واللغة, والقراءة. وهو يعرف كيف يرفع صوته في الأبيات التي تستحق معها رفع الصوت, ويخفضه في الأبيات التي يجب فيها الخفض. وينفعل متى ما أحس أن المتلقي والسامع سيحسن هذا الأنفعال, ويهدأ متى ما أدرك أن المتلقي والسامع سيدرك هذا الهدوء.

كما أنه متمكن من اللغة العربية, حسن الهندام, كثير الأناقة, فطن, يسحر الآخرين بحركاته وإيماته التي توافق أبياته وألفاظه, وتوافق هذه الحركات والإيماءات أصوات قصيدته المنشدَة, التي ما أن ينتهي من إنشادها حتى تعلو الأيادي بالتصفيق الحار لهذا الصوت الصادح بحب بلده وبلدته, المتمكن من صنعته وفنه... والذي نتمنى ألا نُحرم وقفته أمامنا شاعراً جميلاً, وأديباً فاضلاً, ومنشداً بارعاً.

قراءة نقدية تحقيقية في تحقيق الجزء الأول لكتاب الوافي للرندي

لا أدري لماذا يتهافت الباحثون والدارسون والمحققون على تحقيق كتاب ((الوافي في نظم القوافي)), لأبي البقاء الرندي (ت 684 هـ), الشاعر والأديب والمصنف المشهور.

فقد حققه وقدّم له اولاً الباحث محمد الخمار الكنوني, كجزء من رسالة الدبلوم العالي التي أجيزت من كلية العلوم والآداب في جامعة محمد الخامس, بفاس / المغرب, وبإشراف الأستاذ الدكتور محمد بن شريفة, للسنة الجامعية 1973- 1974.

وعلمت أن هذا التحقيق قد طُبع في بيروت نهاية سنة 1998, ومع بحثي المستمر والمضني فلم أستطع الحصول عليه إلى يومنا.

و حققه فيما بعد الدكتور محمود علي مكي, ونُشر هذا التحقيق بدار المعارف – القاهرة, سنة 1998, وهو الآن يعدُّ لإصدار طبعة جديدة ومنقحة ومصححة من هذا التحقيق, كما أخبرني بذلك الأستاذ والمحقق والناقد والباحث الكبير الدكتور عبد الرازق حويزي.

وحققه أيضاً الدكتور انقاذ العاني منجماً. فنشر القسم الرابع منه في مجلة كلية المعارف الجامعة, بالانبار في العراق.

ونشر القسم الأول في مجلة اللغات والآداب, التي أصدرتها جامعة الانبار. ويعكف على تحقيق القسمين الآخرين منه ليتمَّ عمله, وينشره كاملاً تاماً... كما يقول.

وحققت الدكتورة الفاضلة أستاذتنا الكبيرة هدى شوكة بهنام القسم الرابع, ونشرته في مجلة كلية التربية بالجامعة المستنصرية في العراق, وكانت قد شمَّرت عن ساعده على تحقيق باقي أقسام الكتاب فأخبرتها بما فعل الدكتور محمود علي مكي, وبما يريد أن يفعله الدكتور انقاذ فأحجمت عن التحقيق, وآثرت عدم التكرار للجهد والوقت لعملٍ واحد, ولنص واحد مهما كان أو كبر, وهي المعروفة بذلك علماً وتواضعاً وفضلاً.

وفي بدء علم 2013, أطلعت على تحقيق السيد غسان حميد إبراهيم للقسم الأول من كتاب ((الوافي في نظم القوافي)), للرندي, وهو المدرس المساعد في قسم اللغة العربية, في كلية التربية – سامراء, جامعة تكريت (آنذاك), تخصص الأدب الأندلسي. وهو يحمل شهادة الماجستير في هذا الأدب, وفي شعر أبي البقاء الرندي أيضاً. وقد نشر هذا التحقيق لهذا القسم في مجلة سُر من رأى, الصادرة عن كلية التربية – سامراء, جامعة تكريت, العراق, مج 7, ع 26, ج1, السنة السابعة, 2011, وعلى الصفحات 190 – 220.

قرأت هذا التحقيق قراءة فاحصة ودقيقة ولأكثر من مرة واحدة, لكوني من المتخصصين في هذا الأدب العربي الجميل, ومن الباحثين عن نصوصه المحققة. فعنّت لي بعض الملاحظ المنهجية والعلمية التي أسوقها في هذا المقال طمعاً في دراسة أكبر في نقد التحقيق الموزان بين هذا التحقيق والتحقيقات الأخرى التي أنصبت على هذا الكتاب وأقسامه بجهود العراقيين والعرب.

بدءاً, إن سبب تهافت الباحثين والدارسين والمحققين العراقيين على تحقيق هذا الكتاب هو احتفاظ المجمع العلمي العراقي المؤقر بصورة عن نسختي المخطوطتين, إحداهما بالخط المشرقي, والأخرى بالخط الأندلسي. ومن هنا فتوافر هاتين النسختين في هذا المكان القريب السهل يدعوهم إلى التفكير في الحصول عليهما, والعكوف على تحقيقهما, ونشر هذا التحقيق.ومن قبل عمل الدكتور انقاذ العاني على نشر شعر أبي البقاء الرندي من خلال هاتين النسختين, وعلى بعض المظان التي أوردت شعراً للرندي, مما لم يوجد في هاتين المصورتين. وللأسف كانت نشرته لهذا الشعر الأصيل سيئة جداً في الجمع والدراسة والتوثيق والتحقيق والتخريج, فضلاً عن النقص الكبير في عدد النصوص الشعرية المجموعة التي جاءت في هذا العمل. وبقي شعر الرندي هكذا إلى أن أصدرت الدكتورة المحققة حياة قارة بشكل علمي وكبير, وتفرد في تحقيق الأصل الأصيل من ديوان الرندي, وإضافة النصوص الشعرية الكثيرة من كتابه الوافي ومن غيره من المظان حتى أصبح الشعر المجموع يضاهي كبار الدواوين

المحققة والمجموعة في الشعر الأندلسي وغيره, فضلاً عن جمعها لنثر هذا الشاعر, والدراسة الرائعة والكبيرة – نوعاً ما – على هذا المجموع المحقق من الشعر والنثر.

وأما عن تحقيق السيد غسان حميد لهذا القسم من كتاب الوافي, فقد قرأ صورتي المخطوطتين اللتين حصل عليهما من مكتبة المجمع العلمي العراقي وفهارسه الخطية كما ذكرت, واعتمد أحدها أما, ووازنها بالنسخة الأخرى. وحاول أن يخرّج بعض الأبيات من الدواوين الأندلسية والأموية والعباسية, وضبط الأعلام, وتخريج الأمكنة, والتعريف بالحوادث والشخصيات الواردة في هذا القسم... قدر المستطاع, مما أبان عن أمكانية متواضعة وبسيطة في معرفة هذا العلم وأصوله وضوابطه الجديدة والتي باتت معروفة ومشهورة عند الباحثين والدارسين والمحققين العراقيين والعرب والمستشرقين, لكثرة من كتب في هذه الأصول والضوابط, ولظهور نقد التحقيق الذي وثق هذه الأصول والضوابط وجعلها مشاعة عند الجميع وفي متناول الكل. وسأشير إلى بعض الهفوات في هذا التحقيق مما خالف تلك الأصول والضوابط, علمياً منهجياً وبحثياً, في هذا العلم الرفيع.

فالأستاذ غسان حميد لم يضع دراسة تحليلة أو نقدية أو حتى موضوعية لهذا القسم من كتاب الوافي للرندي. وخذ في بالك إنه لم يضع دراسة عن الشاعر وشعره وآثاره التي قال عنها المحقق إنها كثيرة ومتنوعة ومشهورة؟! كما سيأتي في الحديث عن ذلك في الفقر الآتية من هذا المقال.

فكانت دراسته بسيطة وقصيرة جداً, وموجزة أكثر مما يجب. ولا علاقة لي بحججه الواهية من صغر المجلة, وضيق صفحاتها, مما لايسمح بالإطالة والأسهاب, وأن الباحث أو المحقق سيعمل على نشر جديدة للتحقيق تتناول هذه المسميات وغيرها, فهذه الاعذار مما لايشفع للمحقق, ولا يرحمه, ولا يجعل لتحقيقه قيمة أو منفعة, وقد غفل في تحقيقه عن هذه الخطوات المنهجية المهمة.

وفي باقي متن التحقيق وقع المحقق غسان حميد في الهفوات العلمية والمنهجية والبحثية الاتية:

- في الصحيفة 109, قال المحقق عن كتاب الوافي (... وضم أخبار مشرقية ومغربية).

والأصح أخباراً مشرقية ومغربية.

وقال عن كتاب الوافي إنه ((من الوثائق المهمة التي سجلت الأحداث التي وقعت في عصر المؤلف...)).

ولا أدري ما هي الوثائق, وما هذه الاحداث التي سجلها الرندي في كتابه وفي هذا القسم تحديداً, وباقي الأقسام التي تتكلم عن الظواهر الأدبية والنقدية للشعر العربي, وللشعر الأندلسي؟!؟!

وقال عنه أيضاً هو ((من الموسوعات التي تحتاج إلى من يجليها, ويوضح مضامينها ومعانيها)).

وأظن – ولا يختلف في ذلك أثنان – أن هذا الكلام مبالغ فيه, وتعبيرٌ ضخم جداً, وذو سعة وشمول لايسعفهما - علماً ومنهجاً وتأليفاً - كتاب الرندي وأقسامه الأخرى المخطوطة والمحققة.

- في الصحيفة 191, وردت عبارة لكلا المخطوطين.

ولا أصح للمخطوطتين كلتيهما.

وقال المحقق غسان حميد ((وللشاعر مؤلفات كثيرة ضاع جلها)). ولم يذكرها المحقق أو يعرف بها, ويشرحها, وما حُقق منها, وما لم يُحقق, وإنما أحال على بعض الدراسات الحديثة التي لم تذكر إلا كتاب الوافي, وكتاب المعارف, وديوان شعره. ولا أدري أين هذي المؤلفات الكثيرة, والمصنفات الشهيرة التي تركها الرندي؟!؟!

- في الصحيفة 208, جاءت قائمة الهوامش والمصادر التي اعتمدها المحقق في تحقيق لهذا القسم من كتاب الوافي للرندي.

وكان المفروض ان تكون كل قائمة على حدة, ومع ذلك ففي هذه القائمة, وكما في سائر التحقيق – في الدراسة البسيطة والمتن المحقق –, لم يضع المحقق وفيات المصنفين والمؤلفين والشعراء والكتاب والنقاد والأدباء, وهذا أمر منهجي وعلمي معروف ولاسيما مع النصوص التراثية المحققة.

وفي هذه القائمة, سأجمل ملاحظي في الآتي:

●في هامش (1), ورد كتاب الذيل والتكملة بدون ذكر السفر المستخدم في هذا التحقيق.

والأصح أن يُذكر المحقق رقم السفر, فذلك مهم للباحث والقارئ, فالكتاب في أسفار عدة, ولمحققين وناشرين مختلفين, ومن هنا فرقم السفر مهم في الإحالة على هذا الكتاب, وحين الأخذ منه.

●في هامش (3), ورد كتاب: الأحاطة في أخبار غرناطة, بتحقيق محمد عبد الله عنان.

و الأصح الاعتماد على تحقيق الدكتور يوسف الطويل, فهو الأجود والمعتمد في الدراسة والتحقيق عند الباحثين والدارسين والمحققين في الأدب الأندلسي وفي عموم الأدب العربي.

وورد أيضاً كتاب: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب, بتحقيق الدكتور احسان عباس.

والأصح الاعتماد على تحقيق الدكتورة مريم الطويل, والدكتور يوسف الطويل, فهو الأجود والمعتمد في الدراسة والتحقيق عند الباحثين والدارسين والمحققين في الأدب الأندلسي وفي عموم الأدب العربي.

وفي اعتقادي أن المحقق لم يرَ هذه الكتب حتى بهذه التحقيقات, ولم يحاول تحديث معلوماته عن هذه الكتب ومحققيها ونشراتها الجديدة, وطبعاتها الأخيرة, ونقل من دراسته للماجستير, التي نقلت عن مصدر آخر مثل هذه المعلومات عن الشاعر وكتابه, ولعلّ هذا المصدر هو كتاب الدكتور محمد رضوان الداية الشهير (أبو البقاء الرندي..شاعررثاء أهل الأندلس)؟!؟!

ودليل ذلك ما فعله في الهامش (18) حين أحال على رسالته ودراسته للماجستير صراحة وعلانية. وحتى في هذه الإحالة وقع المحقق غسان حميد في الخطل, إذ لم يذكر الكلية والجامعة التي اجازت هذه الرسالة. وذكر هذه المعلومات مهمة لإنها رسالة علمية غير منشورة, كما يعرف ذلك الجميع, وأولهم السيد غسان؟!؟!

ولقد ترجم المحقق في تحقيقه لهذا القسم من كتاب الوافي, لكثير من الشخصيات الأدبية والشعرية اللامعة والمشهورة والتي لا تحتاج إلى تعريف أو ترجمة. فعلى سبيل المثال لا الحصر ترجمته للشاعر الفرزدق, وللشاعر الأخطل, وللشاعر جرير, وللشاعر أبي تمام, وللشاعر كُثيَر عزّة, وللشاعر والخليفة أبن المعتز, وللشاعر والأمير أبي فراس الحمداني, وللشاعر المعتمد أبن عباد الإشبيلي..... وغيرهم.

وحتى في بعض هذي التراجم والتعاريف وقع المحقق غسان حميد في الخطل في كيفية الأخذ من المظان, والكتب التي ترجمت لهاته الشخصيات وعرفت بهم.

فمثلاً في ترجمة الشاعر العباسي الكبير أبي تمام, في الهامش ذي الرقم (20) وفي الصحيفة 200, من البحث أو لنقل من النص المحقق, اورد المحقق غسان حميد مصادر ترجمة هذا الشاعر كالآتي:

وفيات الاعيان؛ أخبار أبي تمام للصولي....

والصحيح العكس إذ أن الصولي تُوفي قبل أبن خلكان بكثير وكثير جداً!!

وفي الهامش الذي يليه احال المحقق في تخريجه لأبيات أبي تمام على شرح ديوانه للصولي, والأفضل أن تكون الإحالة والتخريج من ديوانه المحقق المطبوع المشهور بتحقيق وعناية الدكتور شاهين عطية, لا من شرو ح الديوان.

●في الهامشين (39, 42), وردت أماكن معرفة من قبل المحقق, ولا تتواجد مصادر هذه التعريفات.

والواجب العلمي والبحثي والتحقيقي أن يذكر المحقق كتب المعاجم البلدانية, وكتب الأمكنة, وكتب الجغرافيا, التي أخذ منها هذه التعريفات والمعلومات. وأن يذكر معلومات هذه المظان الطباعية و التحقيقية.

●في الهامش (41), وردت تعاريف لألفاظ لغوية مستغلقة, وكلمات ذات دلالات متنوعة, والمحقق عرّف بها, وشرحها, وعلق عليها, ولم يشر إلى أي من مصادر هذا التعريف أو الشرح أو التعليق.

والواجب والمنهج العلمي السديد المعروف أن يشير الباحث والمحقق إلى المظان اللغوية والمعجمية التي أخذ عنها هذه الشروح والتعليقات, وأن يذكر معلوماتها الطباعية والتحقيقية, فضلاً عن أسم المادة اللغوية وأصلها اللغوي.

●في الهامش (63), ورد اسم الدكتور فخر الدين قباوة.

والأصح فخر الدين قباوة.

ومن الهفوات الجسيمة التي وقع فيها المحقق غسان حميد, العودة في تحقيقه لهذا القسم من كتاب الوافي للرندي إلى طبعات وتحقيقات لدواوين شعرية وكتب أدبية لاترقى إلى المنهج العلمي الصحيح في التحقيق والتوثيق والتخريج والنشر. ومن ذلك عودته إلى تحقيق كرم البستاني لديوان الشاعر والخليفة العباسي أبن المعتز. والصحيح العودة إلى تحقيق ودراسة الدكتور يونس السامرائي – رحمه الله تعالى –إذ هو المعتمد المشهور عند أهل التحقيق والدراسة في الأدب العربي. وهو مطبوع طبعة عراقية متداولة عند العراقيين وفي مكتباتهم, وفي مدينة المحقق غسان حميد وفي كليته وجامعته, ولا أعرف لمه لم يرجع إليها ويعتمدها؟!

وكذلك العودة إلى ديوان الشاعر والأمير أبي فراس الحمداني بطبعة صادر في بيروت.

والأصح العودة إليه بتحقيق الدكتور سامي الدهان, وتحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي. وهو براوية أبن خالويه – اللغوي والصرفي المعروف – لا أبن خالوي, كما ورد على في تحقيق السيد غسان حميد في الهامش (115), وعلى الصحيفة 216, من القسم المحقق المنشور.

ومن تلكم الأخطاء التي وقعها المحقق غسان حميد, وهو المختص بالأدب الأندلسي ودراسته, والمفروض بأن يعرف المطبوع المحقق المنشور المشهور من مظان هذا الأدب ومصادره الرئيسة, والأصيلة. ومن ذلك رجوعه إلى كتاب الفتح بن خاقان الإشبيلي ((قلائد العقيان ومحاسن الأعيان)), بتحقيق محمد العنابي.

والجميع يعرف من أهل هذا الأدب ودارسيه, ومن أبسط قرائه, والمطلعين عليه أن هذا الكتاب نُشر بتحقيق الدكتور يوسف حسين خريوش, وطُبع بطبعيتن, الأولى, صدرت في دار المنار – الزرقاء, الأردن, سنة 1989, في مجلدين كبيرين, وبأربعة أجزاء.

والأخرى, صدرت عن عالم الكتب في إربد, الأردن, سنة 2010, في جزء كبير وباربعة أجزاء.

وقل مثل هذا الكلام في هامش المحقق غسان حميد ذي الرقم (149), من تحقيقه للقسم الأول من كتاب الرندي, أحال في هذا الهامش على تحقيق الدكتورين احمد بدوي, حامد عبد المجيد لديوان المعتمد بن عباد, وشعره.

والصحيح الرجوع إلى تحقيق الدكتور رضا السويسي في تحقيق هذا الديوان والشعر, والمنشور في تونس, سنة 1985, وبذيله ديوان المعتضد بن عباد. فهما المعتمدان عند أهل الأدب الأندلسي ومحققيه ودارسيه وباحثيه... ومن المفروض أن يكون منهم وأولهم السيد غسان حميد؟!؟!

تكلم كانت أهم الملاحظ التي وجدتها في تحقيق القسم الأول من كتاب (الوافي في نظم القوافي), لأبي البقاء الرندي, أحببت أذاعتها والكتابة فيها, أملاً في الفائدة العلمية والمنهجية والتحقيقية, والتي أتمنى من الأخ غسان أن يأخذ بها, في تحقيقه باقي أقسام الكتاب, أو قابل أعماله وأبحاثه وتحقيقاته, والتي نرجوا أن تكون كثيرة ومفيدة, وأكثر منهجية ودقة مما رأيناه في هذا التحقيق, ومن الله وحده التحقيق والسداد.

سوق القرية... ومذكرات طالب جامعي

في مرحلة الدكتوراه في قسم اللغة العربية بكلية الآداب في الجامعة المستنصرية, كنت في قاعة دراسية واحدة أنا وزملائي من طلبة هذه المرحلة من العراقيين والعرب.وكان أستاذنا الدكتور عناد اسماعيل الكبيسي, هو من نتلمذ على يديه مادة الأدب الحديث, وشعر الشعراء في هذا العصر. وأذكر يوماً أننا درسنا بعض النصوص الشعرية الحديثة التي تحمل عنواناً واحداً, وموضوعاً واحداً, وبنىً فنية وهيكلية واحدة, وكانت من بين تلك القصائد ما يتحدث عن السوق وما فيه بإطار أجتماعي وشعبي معين, ومن بين تلكم القصائد, قصيدة للسياب, وقصيدة لنازك الملائكة, وقصيدة لعبد الوهاب البياتي, وهذه القصائد هي:

في السوق, والسوق الجديد, وسوق القرية.

ودار النقاش طويلاً بيننا وبين الأستاذ حول الأجود من هذي القصائد فنياً ونقدياً. ومَن مِن الشعراء أحسن استخدام هذا العنوان, ووضع ما فيه أحسن الأساليب الدلالية والصوتية, ليعبّر التعبير الأمثل عن هذا السوق ومافيه.

وأنفضّ النقاش وكلٌّ منا ملتزم برأيه حول أحقية هذه القصيدة أو تلك بالمرتبة الأولى, والمنزلة الأعلى من القصيدتين الأخريتين, وما يجعلها وناظمها أعلى شأناً ومكاناً وجودة.

وكنت أميل لنص البياتي (سوق القرية), ومع الغالبية من الزملاء. أحفظ هذا النص وأنشده, وأردده داخل القاعة الدراسية, وداخل القسم الداخلي الذي أسكن فيه, وفي السيارة, وفي الشارع, والبيت, والجميع مستغرب من كثرة ترددي لهذا النص وشدة اعجابي به!

ففي هذا النص يجمع البياتي بين الجزالة والسهولة في استعمال الألفاظ وتراكيبها ودلالاتها, ويحسن توظيف العبارات والجمل للتعبير عما يريد, ويمازج بين المكانين القرية والمدينة, وما في المكان الأول من مكونات اجتماعية وشعبية, وما فيه من عادات وتقاليد, وما في المكان الآخر من هذه المكونات, وتلك العادات.

ويستخدم البياتي الأمثال بدلالاتها الاجتماعية الاستخدام الأمثل في هذا النص, ويعرّف بما فيها من تناص أدبي يضيء بؤرة النص, ويجعله في ثقافة أدبية مشتركة بين الشعر والنثر. كما ان الصورة الحركية تتابع عمل الفلاحين والباعة, وتحكي الواقع الاجتماعي المعيش الذي يبحث البياتي عنه, ويحاول إيصاله إلى المتلقي....

يقول البياتي في اللوحة الأولى من هذا النص:

الشمسُ والحمرُ الهزيلةُ والذبابْ,
وحذاءُ جنديٍ قديمٍ... يتداولُ الأيديْ,
وفلاحٌ يحدقُ في الفراغْ,

في مطلعِ العامِ الجديدِ...
يداي حتماً ستمتلأن بالنقود,
وسأشتري هذا الحذاء.

هذه اللوحة من نص البياتي الشعري, الذي طالما ترددت على لساني في الأماكن والمناسبات المختلفة التي عرفتها في حياتي. وأحاول اليوم إنشادها وترديدها أمام الزملاء, والأصدقاء, والجيران, لما رأينا سوق قريتنا – بسبب العلميات العسكرية والأمنية – مقفراً حتى من الذباب, الذي كان سميناً في الكثير من أوقاته, وكثيراً في سوق قريتنا الذي يشهد له الجميع بالرواج والتنوع في الأشخاص والبضائع والفواكه والخضر والحلوى.

هذا السوق المقفر إلا من الهواء, ذكّرني بنص البياتي وقصيدته الخالدة. وهذا النص عاد بي إلى ذكريات جامعية حلوة كنت أتمنى لو تعود بظروف أحسن من هذه الظروف التي مرّت عليّ وعلى مدينتي وسوقها وأهلها, ومَن يتجول فيها وفي هذا السوق. والفرق بين الأثنين واضح, فسوق البياتي يحتاج إلى النقود وهو مليءٌ بالضائع والغذاء... وسوق قريتنا فيه النقود, ولكن بدون البضائع والغذاء وما يحتاجه الناس والسكان.

انتهت مرحلة الدكتوراه, وانتهت تلك الذكريات الجميلة معها, وبقي في ذهني صورة هذا السوق في هذا النص الشعري المُحكم, والذي كنت أعود إليه وأنشده كلما مرّت مدينتي بظرف أو مأزق, والتي كثُرت في السنوات الأخيرة كثيرة مفرطة أتت على معنويات أهلها, وهمتهم وتركتهم في أكثر الأحايين سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الجوع والقحط شديد! فهل كان شاعرنا البياتي قد مرّ بمثل هذه الظروف وحاول أن ينقل تجربته الشخصية المفلسة كما كان الفلاح في هذا السوق, وفي هذه اللوحة من النص؟! ولاسيما ان معلوماتنا عن حياة البياتي تدّلنا على انها كانت حياة فقيرة وبسيطة, فيها الكثير من الظلم والتجني, والظروف القاسية الصعبة المظلمة على الأديب ونتاجه! وهل بالإمكان من أحد شعراء الحديثة أن ينقل تجربته, أو تجربة السوق الذي يتبضع منه بحنكة أدبية وثقافية إلى القرّاء كما فعل البياتي في نصه الشعري؟!

إنَّ صوت البياتي من خلال هذا النص, ومن خلال نصوص الشعرية الأخرى, بقي فينا ومعنا, وهذا هو سرُّ خلود شعره, ووظيفة هذا الشعر العربي الخالد. فهو المعبّر عمّا فينا في كل زمان ومكان. فلعلّ الناس تعرف هذه الوظيفة, وتدرك هذه القيمة. ونعود إلى هذا النص في لوحته الثانية لنرى البياتي صادحاً بقوله على لسان أهل القرية وفلاحيها:

والعائدونّ من المدينةِ... يا لها وحشاً ضريرْ,
زرعوا فأكلنا, ونزرعُ فيأكلون.

فأين زروعكم أيها الفلاحون اليوم, في قريتنا والقرى الأخرى؟ وأين أرض السواد التي استودعها الله فيكم؟ وكيف سخرتموها لسدِّ الحاجة والنقص في أوقات الحاجة والنقص؟ هل أدّيتم أمانتها؟! أم تركتموها للشمس والهواء الحار, وآثرتم القعود في البيوت المكيفة الباردة, والأعتماد على الوارد الأجنبي الدخيل الذي لا يحتاج منّا إلى عناءٍ وتعب؟؟؟!!!

فعذراً أيها الفلاحون إن تكلّمنا عنكم وفيكم. وعذراً إن كانت قصائدنا الجديدة بعنوان (سوق الشام), أو (سوق عمّان), أو (سوق طهران), أو (سوق اسطنبول), أو (سوق القاهرة).... فهذا واقع أسواقنا اليوم, ولا أدري ما واقع شعرائنا وهم ينظرون إلى أسواقنا هذه....؟!

زُهير أحمد القيسي... تاريخ الشخصية, وشخصية التاريخ

القيسيون قبيلة عربية أصيلة ثقافياً, وعلمياً وفكرياً. وتعيش هذه القبيلة الكبيرة العريقة في صلاح الدين وبغداد ديالى والانبار... وباقي محافظات العراق ومدنه. ولا أعرف ما إذا كانت هذه القبيلة تعيش في بلدان عربية أخرى, وتربطهم وشائج وعلاقات النسب والمودة والتقاليد والعادات العشائرية مع هذه القبيلة العراقية... فبصراحة لست من المختصين في علم الأنساب العربية, ولا أحب الحديث عنها, أو عنهم لا من قريب ولا من بعيد!!

انجبت هذه القبيلة الكثير من العلماء والأدباء والمؤلفين والمحققين في تاريخ العراق الحديث, في الموضوعات المختلفة, والعلوم الكثيرة. وكانت لهؤلاء العلماء والأدباء القيسيين البصمة الواضحة في تاريخ العراق الثقافي والفكري, واسهموا في رفع الواقع التعليمي والتربوي لهذا البلد ولاسيما في بدايات القرن الماضي. من خلال التدريس, والتأليف, والتحقيق, والنشر والإشهار. كما إن لهم اليد الطولى والكبيرة في الإشراف على الرسائل والأطاريح الجامعية, والوصول بأصحابها إلى أعلى المراتب العلمية والبحثية.

ومن هذه الأسماء اللامعة والكبيرة التي ظهرت في العالم العربي من العلماء والأدباء والنقاد والمحققين والمصنفين, الأستاذ الدكتور أحمد ناجي القيسي – رحمه الله تعالى – وهو الأستاذ المحقق, المتمكن من اللغة العربية ودقائقها ودلالاتها. ترك المرحوم أحمد ناجي القيسي الكثير من الأبحاث, والتحقيقات, والتآليف في اللغة والنحو والصرف والدلالة. كما إنه أستاذ الأساتيذ في هذه اللغة وآدابها, كالدكتور نوري حمودي القيسي, والدكتور حاتم صالح الضامن, والدكتور محمد حسين آل ياسين, والدكتور نعمة رحيم العزاوي, والدكتور محمود عبد الله الجادر... وغيرهم.

من تركته الثقافية والعلمية, تحقيقه لكتاب دقائق التصريف في العربية, وتحقيقه لكتاب التمام في شرح أشعار هذيل... وغير ذلك من الأبحاث والدراسات, والإشراف على الرسائل والأطاريح التي اختصت بهذه اللغة ومكوناتها في الصرف والدلالة والصوت.

ومن هؤلاء العلماء الذين انجبتهم هذه القبيلة, أستاذنا الكبير المرحوم الأستاذ الدكتور نوري حمودي القيسي – أستاذ الأدب الجاهلي في كلية الآداب في جامعة بغداد, وعميد هذه الكلية لعقدين من الزمن – لهذا الفقيد أكثر من تسعين مؤلفاً ومحققاً ومصنفاً في الأدب الجاهلي والنقد الأدبي. ومن هذه المؤلفات والتحقيقات والتصانيف: الفروسية في الشعر الجاهلي, الطبيعة في الشعر الجاهلي, تاريخ الأدب الجاهلي, دراسة تحليلية نقدية في نصوص من الشعر الجاهلي, نصوص تحليلية نقدية في

نصوص من الشعر الأموي, شعر الحرب عند العرب, دراسات في الشعر الجاهلي, ملامح من السرد القصصي في الشعر الجاهلي, شعر النمر بن تولب, شعر جران العود النميري, شعراء أسلاميون, شعراء أمويون, المستدرك على صناع الدواوين... وغير ذلك كثير. فضلاً عن أنه شبه الدكتور أحمد ناجي القيسي في الإشراف على رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه, وتخريج الأساتذة الأكفياء الأوفياء في الأدب العربي, ولاسيما الشعر الجاهلي. إذ تخرج من بين يديه كبار الأساتذة والمحققين والمؤلفين, وهم اليوم من العلماء الأجلاء البارزين في التعليم والتأليف والتحقيق في جامعات العراق وكلياته المختلفة.

ومن هؤلاء العلماء الذين انجبتهم هذه القبيلة أيضاً, الأستاذ الدكتور أيهم عباس حمودي القيسي, وهو أيضاً من المختصين بالأدب الجاهلي في الأدب العربي. كتب عن السلاح في القصيدة العربية الجاهلية, وعن شعر العقيدة في الأدب العربي حتى سنة 23 هـ, ومن بحوثه المهمة في هذا الشعر, جمعه لشعر ورقة بن نوفل, وجمعه لشعر المسيب بن علس.... وغير ذلك من الأبحاث والدراسات التي تهتم بهذا الشعر وتبرز ما فيه من أصالة وجدة.

وغير هؤلاء من العلماء والباحثين والمفكرين الذين انجبتهم هذه القبيلة في باقي العلوم والفنون, وفي شتى أقسام المعرفة والعلم والفكر. فهي بحاجة إلى كتاب مستقل يحكي تاريخها, وسير أبنائها وعطائهم, كما فعل الدكتور قيس كاظم الجنابي حين ألّف عن قبيلته كتابه الجميل ((الجنابيون... في التاريخ والأدب)), ولعلَّ أحداً فعل مع قبيلة القيسيين وتاريخها وأدبها؟!؟!

وفي مقالي عن جهود الدكتور مصطفى بهجة في الفكر والأدب والتحقيق والنقد, مرّ عليّ تحقيقه – بالمشاركة – لديوان أبن أبي حجلة التلمساني, وكان من بين آثار هذا الشاعر كتاب التلمساني ((أنموذج القتال في نقل العوال)), ولم يذكر المحققان اسم محقق هذا الكتاب الشهير, أو معلومات عن تحقيقه, علماً أنه محقق لعالم وبحّاثة ومؤلف عراقي كبير ألا وهو الأستاذ الفاضل زهير أحمد القيسي, ونُشر هذا التحقيق الفاخر في العراق, وصدر عن وزارة الثقافة والأعلام – آنذاك – في بغداد, لسنة 1980, وبأكثر من إحدى وستين وثلاثمائة صحيفة ومن القطع الكبير. وكان من الواجب بالدكتور مجاهد – حصراً عن المحقق الآخر – أن يعرف بهذا التحقيق ويشير إليه, ولاسيما وهو من أبناء بلد المحقق القيسي ومن معاصريه, كما إن ذلك من موجبات عمل المحقق ولاسيما في آثار العالم الذي يحققه كتابه أو ديوان أو أحد رسائله وعناوين مصنفاته التي تركها, ونُسبت له تأليفاً أو تدويناً أو نظماً...

وعودٌ على بدء فالأستاذ زُهير أحمد القيسي, من الباحثين والمفكرين الكبار في التراث العراقي والعربي, وله أكثر من مؤلف في هذا التراث منها كتبه الشيق والشهيرة عن الشطرنج, ومنها كتابه الشطرنج في التراث العربي, وكتابه الشطرنج

للجميع, وكتابه تاريخ الشطرنج الكبير. ومن كتبه ومؤلفاته الأخرى, كتابه عن الأرقام, وكتابه عن الزراعة والنبات في التراث العربي, وكتابه عن أبن بطوطة, وهو أشبه بالقصة التاريخية الأسلامية الشخصية المُسلية والمفيدة.

وأما عن جهوده المحققة فضلاً عن تحقيقه لكتاب أبن أبي حجلة (أنموذج القتال في نقل العوال), تحقيقه لكتاب الجامع في العروض والقوافي لأحمد بن محمد العروضي, وشرح الأرجوزة في علم الخط السعودي... وغيرها.

وهو متمكن محيطٌ في اللغة العربية أيما تمكن وإحاطة, ومطلع على دقائق هذه اللغة وأبسط تراكيبها ودلالاتها, وهو شاعر أيضاً وله ديوان مطبوع سمّاه (أغاني الشباب الضائعة), الذي حاولت كثيراً أن أعثر عليه, وأن أحاول محاورته موضوعياً وفنياً ونقدياً, فأكشف عن خيوط التجربة الذاتية والإبداعية فيه, ولكن للأسف لم أفلح.

كان يقدّم برنامجه الموسوعي والثقافي الكبير والناجح والمتألق ((اليوم السابع)), فيتحدّث في نصف ساعة – وهو زمن البرنامج ومدته – في الأمور الثقافية المختلفة, والأدبية, والتاريخية, والفلكلورية, ويجيب عن أسئلة المشاهدين في الأرقام, والأسماء, والكتب, والتراث, والشعر, والفلكلور, والملابس, والأفراح, والتعازي... وفي باقي نواحي الحياة الاجتماعية والتراثية والفكرية والعلمية . مما يبين عن علم واسع, وأطلاع غزير, ومتكلم ومحاور عجيب قلّ أن نجد مثله اليوم بين مثقفينا ومذيعينا, وكتابنا وأدبائنا.

إنه صوت آخر من أصوات الثقافة العراقية الأصيلة التي غابت عنها, وما عُدنا نسمع أنغامها الشجية, فلعلَّ الآخرين يحذون حذوه شطرنجياً, وبحثياً, وعلمياً, وفكرياً, وتأليفياً, وتحقيقياً. وأن يكون اللاحق كالسابق في كل شيء, فنحفظ تراثنا, ونصون ثقافتنا, ونوفي حق علمائنا, ونجلي إرث أوطاننا..... نفلح إن شآء الله تعالى وبإذنه وتوفيقه.

الرفض في شعر الأعمى التطيلي الأندلسي

تشير المعاجم اللغوية العربية إلى إن لفظة والمادة اللغوية للرفض تعني: تركك الشيء. فنقول: رفضني فرفضته, رفضت الشيء أو رفضه رفضاً: تركته وفارقته. وأرفَض – بفتح الفاء – الشيء المرفوض.

وأما في الاصطلاح الأدبي, فيعني فرار الشاعر من واقعه ورفضه إياه. فهو يميل إلى الطبيعة الرحبة, وفضائها الواسع. قد يشكوها الهموم, أو يهربُ إليها من الهموم. كما إنَّه يسيحُ في الأرض ويعاشر أناساً كثيرين قد يسهلوا من معاناته, ومصاعب رحلاته, فيمدحُ هذا, ويرثي هذا, ويهجو ثالثاً.... وهكذا.

وحالة الرفض تشكل جانباً مهماً من جوانب شعر الشاعر التطيلي الاندلسي وحياته. فهو شاعر ذو حالة اجتماعية واقتصادية بسيطتين أيما بساطة, رحل بين المدن الأندلسية, وعاشر الأمراء, والوزراء, والحكام, والقضاة... ومدحهم كثيراً, وأثنى عليهم وعلى معروفهم معه. وهو شاعر ذو ثقافة واسعة, ولديه إطلاع كبير على الموروث الأدبي العربي من شعر ونثر وتاريخ إسلامي وبعضاً من الأساطير والقصص. كما إنه شاعر تقلّبت به الظروف الحياتية الصعبة, وشكى قلّة الرزق, وقلّة الحظ, فضلاً عن كبر سنّه, وعاهته التي ألزمته عن الكثير من المجد والشهرة وسعة المال, ورفاهية الحال. ومن هنا نجد أن حالة الرفض بادية في شعره بشكل جلي, وألفاظها ومعانيها وموضوعاتها واضحة في شعر هذا الشاعر تمام الوضوح, كما هو بائن في الفقر الآتية من هذا المقال.

ففي أول نص في شعر الاعمى التطيلي قاله في إشبيلية, رأيناه يرفض الظلم, ويرفض هذا الرجل العسوف الذي ظهر في هذه المدينة, التي يبدو أنها كانت خيبة أمل كبيرة, وسوء حال وسقم على التطيلي وشعره, كما واضح في هذا النص وفي غيره من شعر الشاعر. فنراه يقولُ في أول الأبيات من هذا النص:

إلى اللهِ أشكو الذي نحن فيه ... أسىً لا ينهنهُ منهُ الأسى

على مثلِها فلتشقَّ القلوب ... مكانَ الجيوبِ وإلا فلا

فشا الظلمُ وأغترّ أشياعهُ ... ولا مستغاثٌ ولا مشتكى

ونراه يصرح بكل الصراحة بهذا الرفض لهذا المكان, ولهذه المدينة التي يبدو أنها كانت معاناة حقيقية أخرى تضاف إلى معانات التطيلي ومصاعبه. يقول:

وماذا بحمصٍ من المضحكات ... ولكنهُ ضحكٌ كالبكا

ويمضي النص في هدوء صوتي وإيقاعي حتى خاتمته التي يدعو فيها الشاعر التطيلي للثورة على هذا الرجل العسوف, وعلى هذا ظلمه, وعلى قسوته, وينتهي بنصحه لإهل هذه المدينة, ورفضه الواقع الذين يعيشون فيه تحت حكم هذا الرجل, وعدم الرضا بما يحدث, أو بما سوف يحدث.

وفي نص شعر آخر من ديوان الاعمى التطيلي, أفتتحه في العتاب على الدنيا وحوادثها وزورها وضحكها على الناس, ولاسيما على الفقراء منهم من أمثاله كما

يصوره شعره. وهو في هذا النص يجدد رفضه للمكان– المدينة – وإنه لم يستوطنها قانعاً مقتنعاً بها, وإنما هي الظروف التي آلت به إليها, وجعلته مقيماً فيها بلا حول ولا قوة. يقول التطيلي في نصه هذا:

وقائلةٍ ما بالُ حمصٍ نبتْ به ... ورُب سؤال ليسَ لهُ جوابُ

نبتْ بي فكنت العرافَ في غيرِ أهلِه ... على أهلهِ وهو تبابُ

فباللهِ ما استوطنتها قانعاً بها ... ولكنني سيفُ حواهُ قرابُ بعودُ

أيغضبُ حسّادي قيامي إلى العُلا ... وقد قعدوا لما ظفرت وخابوا

ويستمر التطيلي بهذا الحوار في بنية النص الشعري وفي مقدمته تحديداً, ولكن هذه المرة في مقدمة قصيدة أخرى يمدح بها المرأة الحواء – كما جاء في عنوان هذه القصيدة في ديوانه – فيرفض الواقع الذي يعيش فيه الشاعر برمته, معللاً هذا الرفض بضياع الأدب والأدباء في أزمات هذا العصر السياسية والدينية الفقهية, ولنستمع لقول التطيلي في ذلك وقد احسن استخدام الحوار مع المرأة اللائمة التي أخذت شخصيتها من التراث الأدبي العربي الشعري:

هبّت تعاتبني زُهرٌ وقد علمتْ ... أنَّ العتابَ شجىً في القلبِ أو شجبُ

قالتْ: قعدتْ, وقامَ الناسُ كلّهم ... أما يعلّكُ الأثراء والرتبُ؟؟

فقلتُ كفي فما تغني مقارعتي ... في ازمةٍ ضاعَ في أثنائِها الأدبُ

ويمتزجُ هذا الرفضُ من المكان, ومن مدينته إشبيلية – حمص – بالفخر الشخصي بأدبه وشعره. ولاسيما وقد ظهر هذا الأدب وهذا الشعر في عصر لايقدرهما, ولا يعتني بصاحبهما الذي ظهر بين أناس لا يعرفونه ولايقيمون له وزناً وحجماً, على حدِّ زعم التطيلي في قوله في مقدمة قصيدته يشكو مقامه بإشبيلية:

نبتْ بي حمصٌ جادها كلُ مرهمٍ ... تهلّ الربا بالشكر أيّان يهمعُ

وما كنتُ أخشى أنْ أحلَ ببلدةٍ ... بها غصصٌ من أهلِها وهي بلقعُ

وما أخملوني لكنِ المجدَ أخملوا ... وما ضيعوني لكنِ العلمَ ضيعوا

وبينَ ضلوعي ما لو أنَّ أقلّه ... بأكنافِ رضوى أوشكتْ تتصدّعُ

ولكنه في نص آخر, يعود بالبكاء على هذا الشعر الذي ظهر في هذا العصر, وعلى تراجعه وانحساره عما في العصور الأخرى في الاندلس وغيرها من أماكن الخلافة الإسلامية. وكيف برزت منزلة الفقيه, وعلّوها على المنازل الأخرى مهما كانت, وأنى كانت. يقول التطيلي في نصه الشعري هذا:

أيا رحمتاً للشعر أقوتْ ربوعُهُ ... على أنها للمكرماتِ مناسكُ

وللشعراءِ اليوم ثُلّتْ عروشُهم ... فلا الفخرٌ مختالٌ ولا العزُّ تامكُ

إذا رأيتَ الناسَ الحظوظَ وأشرفتْ ... مطالبُ قومٍ وهي سودٌ حوالكُ

رأيتُهم لو كانَ عندك مدفعٌ ... كما كسدتْ خلفَ الرئالِ الترائكُ

فيا دولةَ الضيمِ أجملي أو تجاملي ... فقد أصبحتْ تلكَ العُرى والعرائكُ

ويا " قامَ زيدٌ " أعرضي أو ... فقد حالَ دونَ المنى " قال مالكُ

تعار ضـــ

ويمتزج رفضه من هذه المدينة بشكواه من علته وعاهته (العمى) ولاسيما وقد بلغ من الكبر عتياً كما في توريته بالشيب في هذي الأبيات. ولنبتدأ أولاً برفضه المجدد للمكان وللمدينة في قوله:

مللتُ حمصَ وملّتني فلو نطقتْ ... كما نطقتْ تلاحينا على قدرِ

وسوّلتْ لي نفسي أنْ أفارقها ... والماءُ في المزنِ أصفى منهُ في الغدرِ

ويقول في عاهته واصفاً ورافضاً ومتذمراً بعدما تعاونت عليه خطوب ومآسٍ في حياته الشخصية والأدبية. وهذه الخطوب هي: المكان " المدينة ", والعاهة, والشيب, والزمن . يقول التطيلي:

أما أشتفتْ منِّي الأيامُ في وطني ... حتّى تضايقَ فيما عنَّ وطرِ

ولا قضتْ من سوادِ العين حاجتها ... حتّى تكرَّ على ما كانَ في الشعرِ

تلكم كانت قراءة موضوعية لإتجاهات الرفض ومعانيه ونواحيه في شعر الشاعر التطيلي الاندلسي, رأينا فيها رفضاً للمكان, وللعصر الذي عاش فيه, وتذمراً من فقره, وعاهته التي تعاونت وكبر سنه وشيبه فأقعداه عن المجد والرفعة, وأصاباه بالخمول والركود, فلم ينلْ ما لم يناله للشعراء الكبار النابغين بشعرهم وأدبهم.

وإذا قرأنا هاته هذه النصوص قراءة فنية رأيناها جيدة السبك, حسنة النظم, فيها من أساليب البيان, والبنى الصوتية من البديع وفنونه ما تركتها في إبداع فني أصيل, ونص شعري مؤثر, حكى غربة صاحبه, ومآسيه التي عاشها مع هذه الغربة وهذا العصر... وبين هؤلاء الأقوام والحكام. فقد شاع في صوره الفنية التشبيه بأنواعه, ولاسيما التشبيه الحسي بالحسي الذي كانت غايته إيضاح المعنى ببساطة وسهولة وخفّة. وشاع من بين أنواع هذا التشبيه في صور الشاعر التطيلي الرافضة للواقع والمكان والزمان التشبيه الضمني, وهو التشبيه المركب الذي يوزان بين اللوحة واللوحة الأخرى في التشبيه والتصوير والتمثيل. فضلاً عن الأستعارة والمجاز وقرائنه التي دلّت بوضوح على الحسن المناسب, في المكان المناسب.

ناهيك عن توظيف محمود للألوان في هذه الصور, ومع هذه الفنون بما عكس التجربة المعيشة, وأبقى على النص الشعري في رونق وجمال يؤكدان أصالة صاحبه وإتقانه لصنعته وبلاغته.

وأما ما يخص البنى الصوتية فقد شاع البديع بفنونه في صور التطيلي التي تخللها الرفض ومعانيه. ومن ذلك: الجناس بأنواعه, والتكرار بأقسامه, والتضاد ودلالاته, والتلاعب اللفظي ومكوناته, وحسن التعليل وتأثيره الصوتي, والتورية وإيهامها المحبب البارع, وهذه الفنون كلّها أدّت إلى تناسق إيقاعي لطيف مع الوزن والقافية والروي, فعبَّر بهم الشاعر عن تكاتف عميق ومحكم بين الصورة والصوت والدلالة.

ومن البنى الهيكيلة للنص الشعري فقد أحسن التطيلي استخدام عناصر السرد, ولاسيما في مقدمات قصائده المدحية وقبل الولوج إلى غرض النص الشعري وموضوعه. كما أن التطيلي أهتمَّ بالبناء التقليدي الموروث من القصيدة العربية منذ العصر الجاهلي, من لوحة المقدمة, ولوحة الغزل, والغرض, فالخاتمة. وكلُّها سُخِّرت لبيان تجربة الشاعر المريرة, وحياته القاسية التي عاشها في مدينته وعصره وأشخاصه...

لقد كان التطيلي في شعره رافضاً ومتذمراً وهاجياً وشاتماً أحياناً... ولكن بلا جواب!

منهج الدكتور عبد الرازق حويزي
في الإستدراك على الدواوين الشعرية الأندلسية

الدكتور والأستاذ والباحث والناقد والمحقق والمؤلف عبد الرازق عبد الحميد حويزي, أستاذ بارع, ومؤلف متمكن, ومحقق ثبت, وناقد أصيل. له أكثر من مؤلَّف ومن محقَّق شهدت له بالجدة والابتكار والبراعة, وأخرجته إلى عالم التحقيق والتأليف واحداً من أهم علماء الوطن العربي, والعالم الإسلامي, وأكبر الأساتذة الذين يشار لهم بالبنان والخُلق الرفيع, والتواضع الجم, ومحبة الآخرين ومعونتهم في كل الانحاء والأماكن.

وقد كتبتُ بحثاً كبيراً عن هذا العالم والمحقق, وشاركتُ به في مؤتمر المخطوطات العربية الثاني, الذي أقامه قسم اللغة العربية في كلية التربية للعلوم الأنسانية في جامعة تكريت بالعراق, للعام 1434 هـ - 2013م, وكان عنوان البحث هو:

((التحقيق ونقد التحقيق عند الأستاذ المحقق الدكتور عبد الرازق حويزي)).

والحمد لله فقد نُشر البحث, ولقي ترحيباً جيداً في العنوان والموضوع والدراسة, وحظي بالمناقشة والتعليق والإضافات والمتابعات حتى بعد نشره.

وللدكتور حويزي كثيرٌ من الإستدراكات والتعقيبات والإضافات العلمية والمنهجية على تحقيق وصناع الدواوين الشعرية العربية. ولقد رأيت في الآونة الأخيرة أن المحقق حويزي قد أهتم في أبحاثه ودراساته وتعقيباته بالأدب الأندلسي, والمحقق المصنوع المجموع من شعر شعراء هذا الأدب الأندلسي الأصيل. فرأيت أن أخصّ أعماله تلك بهذا المقال لكوني من المختصين بهذا الأدب, ولكي أواصل الكتابة عن هذه الجهود الطيبة التي يقوم بها الدكتور حويزي في خدمة التراث العربي الأدبي, بعدما كتبتُ فيه وفي جهوده السابقة البحث المشار إليه آنفاً.

فبدءاً, فالدكتور عبد الرازق يختار بدقة وعناية عناوين مستدركاته وإضافاته على الدواوين الأندلسية. وهذه العناوين تشمل دراسة في نقد التحقيق, والتصويب والتصحيح على النصوص الشعرية الأندلسية المحققة والمجموعة, وبيان جهد صاحبها في الجمع والتحقيق. فضلاً عن إظهار الهفوات والأخطاء المنهجية والعلمية والتحقيقية التي ظهرت عند المحقق في عمله وصنعته للمجموع, أو تحقيقه للديوان.ومن ذلك علمه على تحقيق ديوان أبن الزقاق البلنسي الذي وسمه بـ:" دواعي إعادة تحقيق ديوان أبن الزقاق البلنسي ت 528 هـ ", وعمله على ديوان أبي حيان الأندلسي الذي وسمه بـ:" تكملة ديوان أبي حيان الأندلسي ت 745 هـ ".

ومن منهجه أيضاً أنه يحرص على وضع وفاة الشاعر الذي يكتب عنه ويستدرك على شعره, وهذه خطوة مهمة أرى بعضاً من المحققين والدارسين قد تجافى عنها بلا سبب أو مسوغ. علماً أنه قد جانب الصواب في سنة وفاة الشاعر أبن الزقاق البلنسي الصحيحة, فالأصح والأصوب أن هذا الشاعر الأندلسي الكبير قد توفي في سنة 529 هـ, أو 530 هـ على الأغلب, وعند أكثر الباحثين والمحققين وأصحاب كتب التراجم والطبقات الأندلسية والمشرقية.

وفي هذا الأعمال يبتدأ الدكتور حويزي بحثه بالحديث عن ديوان الشاعر ومَن حققه ونشره, ومَن ثمَّ يضع دراسة نقدية لهذا التحقيق ولهذه النشرة. وغالباً ما تتناول مثل هذه الدراسة الحديث عن جهد المحقق أو المحققة في الحصول على مخطوطات الديوان, وما فاته من هذه المخطوطات وفائدتها في إتمام التحقيق وإكمال النصوص الشعرية المحققة عدداً, وإحكامها تخريجاً وتوثيقاً وترتيباً.... كما جاء في عمله واستدراكه لديوان أبن الزقاق البلنسي.

وأيضاً من منهجه في الإستدراك على الدواوين الأندلسية المحققة ولاسيما مع ديوان أبن الزقاق, أنه بيّن خطل المحققة في قراءة الأبيات الشعرية المحققة عروضياً. والأخطاء التي جاءت في تحرير النص الشعري الأندلسي عند هذا الشاعر الكبير, فضلاً عن المظان الجديدة التي تساعد في تخريج النصوص الشعرية للشاعر وإثبات صحة هذه النصوص للشاعر, ونسبتها له, وتدافعها في هذي النسبة مع شعراء آخرين أندلسيين وغير أندلسيين.

ومن بعد ذلك يتحدث عن أهمية المستدرك الذي يصنعه, وما تضيفه النصوص الشعرية الجديدة إلى ديوان الشاعر, وإلى رصيده الأدبي والفني. وكذلك يتحدث عن المصادر التي أخذ منها المحقق الدكتور حويزي النصوص الشعرية الأندلسية الجديدة, ونوع هذه المصادر مطبوعاً أو مخطوطاً, وأماكن تواجدها, وأهميتها لهذا الشاعر ولغيره من الشعراء.

وفي الإستدراك يقسم الدكتور عمله إلى قسمين. الأول, الأبيات صحيحة النسبة والسند إلى الشاعر الذي يستدرك على ديوانه. والآخر, الأبيات متدافعة النسبة بين الشاعر الذي يستدرك عليه وبين الشعراء الآخرين من الأندلس أو من غيره من بقاع الدولة العربية والأسلامية.

وفي الإستدراك الذي يصنعه الدكتور حويزي على الدواوين الشعرية الأندلسية, يرقّم المحقق حويزي النصوص الشعرية, ويرقّم الابيات الشعرية داخل كلّ نص من هذه النصوص, ويثبت البحر الشعري امام النص الشعري, ويرتب النصون الشعرية المستدّركة بحسب الحروف الهجائية وقوة الروي في الحروف المتشابهة, ويشرح المفردات الصعبة والمستغلقة من المعاني والألفاظ الواردة في كلّ بيت من الأبيات الشعرية, ويعرّف بالأحداث والأماكن التي تحتاج إلى تعريف. كما إنه كثير الأحالة

على مظان التخريج والشرح والتعريف من المصادر والمراجع بأنواعها, من الأقدم إلى الأحدث, المخطوط والمطبوع والمحقق, ومّن ثمَّ يضعها في قائمة خاصة للمصادر والمراجع في نهاية كلّ عمل يقوم به, ويدوّن معلوماتها الطباعية والتحقيقيّة التفصيليّة, ويعود إلى المظان المحققة تحقيقاً علمياً معتمداً, والمطبوع طبعة حديثة وجديدة ومنقحة ومصححة, وهو بذلك يسرد للمتلقي معلومات علمية أصيلة يحتاج إليها, ويسعى لمعرفتها واقتنائها ولاسيما من المختصين بعلم التحقيق, أو من المختصين بالأدب الأندلسي, والباحثين عن جديده وأصيله.

ويتحدّث الدكتور والمحقق حويزي عن التحقيقات المعروفة المنشورة والكثيرة للديوان الأندلسي الذي يروم الإستدراك عليه وصولاً إلى التحقيق الأخير الذي يكون غاية بحثه, وميدان عمله. كما فعل ذلك في استدراكه على ديوان أبي حيان الأندلسي – على الرغم من اختلافنا في هذه النسبة – النحوي واللغوي والأديب الشهير. فهو قد عرّف بكلّ من كانت له يد بيضاء ناصعة في تحقيق هذا الديوان, أو صنع مستدركاً على تحقيق من تحقيقاته... إلى آخر التحقيقات والطبعات وهو تحقيق الدكتور وليد السراقبي, وميزة هذه الأخيرة عن التحقيقات والنشرات الأخرى, في الجهد, والتخريج والتوثيق, والدراسة والفهارس.

فهناك أشبه ببلوغرافيا متقنة يضعها المحقق حويزي مع كل مستدرك صنعه على الدواوين الشعرية العربية, ومنها الدواوين الشعرية الأندلسية.

ومّن ثمَّ أتى على تحقيق الدكتور السراقبي لهذا الديوان وعمل الخطوات المنهجية والعلمية المحكمة التي عملها مع ديوان أبن الزقاق البلنسي, ومع باقي دواوين الشعر العربي في العصر الجاهلي, والعصر العباسي, مما نقده أو علّق وعقّب عليه, أواستدرك واضاف.

بقي أنْ أعلمك ايها القارئ والباحث والدارس والناقد في الأدب العربي وشعره, أن المستدركات والإضافات التي صنعها ويصنعها الدكتور والمحقق حويزي على المجموعات الشعرية المصنوعة والدواوين المحققة – ومنها الأندلسية طبعاً – قد بلغت مئات الأبيات في عشرات القطع والنتف. ومن هنا فعمله يستحق الإعجاب والثناء, ويفتح الباب الواسع أمام المحققين وجامعي الشعر ليفكروا في إعادة التحقيق أو الجمع على وفق المظان الأخيرة, والمستدركات الجديدة التي ظهرت على جمعهم وتحقيقاتهم.

إنه صوت آخر من أصوات التحقيق العربي الذي نتمنى أن يستمر في إتحافنا بالمزيد المزيد من التحقيقات والاستدراكات والدراسات التي لا يملّ منها القارئ, لعلمها, وأسلوبها, وفائدتها, رعاه الله.

تمَّ الكتاب بحمد الله تعالى وتوفيقه ومنَّته وحفظه.